مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

تَرْسِيخُ الْإِيمَانِ

تأليف:
تشارلز ساندرز پورس

ترجمة:
أحمد فريحي

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 27 فبراير 2024

جميع الحقوق محفوظة © 2024

تَرْسِيخُ الْإِيمَانِ

تأليف: **تشارلز ساندرز پورس**
ترجمة: **أحمد فريحي**

تقديم:

قدْ لا نبالغُ إذا قلنا: إنَّنا لا نعلمُ أحداً بلغَ حظاً منَ التَّحصيلِ المَعرفيِّ، في الفترةِ المُعاصرة، وتعدَّدتِ اهتماماتُه وكثُرت تأليفُه لتُغطِّيَ كلَّ الحقولِ المعرفيةِ يفوقُ الفيلسوفَ والعالمَ الأمريكيَّ **تشارلز ساندرز پورس Charles Sanders Peirce** (1839-1914)، فلا يُضَاهيه في هذا الاهتمامِ سوى المُعلِّمُ **الأولُ أرسطو** في العصورِ القديمة. فقدْ غطَّتِ اهتماماتُه علومَ عدةٍ: الكيمياء، والرِّياضيات، والفيزياء، والمنطق، والاقتصاد، والفلك، والأخلاق، وعلم الجمال، وفلسفة اللُّغة، وفلسفة العلوم، وتاريخ العلوم...وهناك مجالاتٌ كانَ من المُؤسسين والرُّواد الأوائل فيها كالمنطقِ الرَّمزي المعاصر، والسِّيميولوجيا، وعلمِ الإحصاء، وحسابِ الاحتمالات، هذا بالإضافة إلى أنَّه هو الأبُ المؤسس للفلسفة العملية، ويعدّ كذلك منَ المُؤسسين الأوائل للفلسفةِ البراغماتية بمعية الفيلسوفين **جون ديوي** و**وليام جيمس**.

لنْ ندَّخر جُهدا في التَّعريف بما قدَّمه هذا العَلَم الَّذي قلَّ نظيرُه في التَّاريخ، وسنُقدِّم تعريفاً مختصراً يُبرزُ قيمتَه العلميَّة والفلسفيَّة. هذا التَّعريفُ، قدَّمه الموقعُ الإلكتروني لمكتبةِ هارڤارد تحت عنوان: «**تشارلز ساندرز پورس**: أكثر من مائةِ ألفِ صفحةٍ من ملاحظاتٍ ومسوداتٍ حول أعمالِ الفيلسوفِ والعالمِ المُؤثر.»، وقد جاءَ في مضمونُ هذا التَّعريف ما يلي:« لقدْ كانَ **تشارلز ساندرز پورس**، أحد الشَّخصياتِ الفكريةِ الأكثر إبداعًا وموسوعيةً في القرنين الماضيين، فقدْ كانَ عالماً ورياضياً، غير أنَّه عُرفَ الآن كفيلسوفٍ، وكمؤسسٍ للبراغماتيةِ الأمريكيَّة، وكمنظرٍ في المنطقِ والسِّيميولوجيا (نظرية تُعنى بكيفية نمو التَّجربة الإنسانيَّة عن طريقِ البنياتِ الوسيطة الَّتي نُنْشئُها). لقدْ عَملَ كجيوديسي[1] وككيميائي لصالحِ هيئةِ المسحِ الجيوديسي والسَّاحلي الأمريكيَّة لمدةِ اثنين وثلاثين سنة، وقادَه عقْله الرِّياضيُّ مُتعدِّدُ الاهتماماتِ إلى البحثِ والكتابةِ في مجموعةٍ هائلةٍ من المواضيع. لقدْ أطلقَ على نفْسه اسم «المنطقيُّ»، وكانتْ نظرياتُه المنطقيةُ مصدرَ إلهامٍ في اهتمامه بالبراغماتيةِ، وبالميتافيزيقا، وبالتَّحليلاتِ العلميَّة، وبالدراساتِ التَّاريخيَّة، وحتَّى بعمله التَّجريبيِّ. لقدْ أثارَ منطقُ المنهج العلميِّ، وعلى وجه الخصوصِ منطقُ الاكتشافِ، اهتمامَه العميقَ، وجعلَ عملَه مهمًا اليوم. إنَّ الاهتمامَ بمفاهيم **پورس** يتجاوزُ حدودَ الفلسفةِ الأكاديميةِ، من خلالِ مساهماتٍ رائدةٍ في الرياضياتِ، وعلمِ النَّفس التَّجريبيِّ، وعلمِ الكونياتِ، ورسمِ الخرائط، وعلمِ التأريخ، وعلوم الكمبيوتر. لقدْ تمَ تطبيقُ أعماله من قِبلِ منظماتِ الاستخباراتِ، ومن قِبلِ الجيشِ، وفي التِّكنولوجيا، وفي علومٍ متعددةِ التَّخصصات. إنَّ مقالاته الموجودةَ في **مكتبة هوتن** تتألفُ من حوالي مائةِ ألفِ صفحةٍ. نشرَ منها حوالي اثنى عشر ألفَ صفحةٍ خلالَ حياته. لقدْ نُشرت الطبعاتُ المرتبة زمنياً على نحوٍ متتالٍ من مَشروعه في ثمانية مجلداتٍ من أصلِ ثلاثين مجلدًا، والَّتي تم تحريرُها حتى سنة 1892. لكنَّ أعمالَ **پورس** الكاملة موجودةٌ فقط في مقالاته القابعةِ في **مكتبة هوتن**. يُقدَّر حجمُ هذه الأعمالِ بحوالي خمسين ألفِ صفحةٍ من المخطوطات، لا تزالُ غير منشورة، وهي في حالٍ هشَّة. وعلى الرَّغم من أنَّ بعض هذه الوثائق المُصوَّرة على فيلم مُصغَّر بالأبيض والأسود، رديئةُ الجودةِ، والَّتي عمرها ستُّون سنةٍ، فقد وجدَ الباحثون

1- **geodesy** نسبة إلى الجيوديسيا، وهو علم يهدفُ إلى قياسٍ وفهمٍ دقيقين للشكل الهندسي للأرض، ولاتجاهها في الفضاء وفي مجال الجاذبية.

أنَّ حجمَ الخط محدود، مما يصعب إدراك استعمال معنى **پورس** للون. هذا بالإضافة إلى أنَّه بالرَّغم من أنَّه قد تم بذلُ العديدِ من الجُهود لتصنيفِها وفهرستِها من قِبلِ الباحث **ريتشارد روبن**، فإنَّ منهج عمل **پورس** غير الخطي بشكل أساسي، وعادته في الكتابة وإعادة الكتابة والمراجعة من خلال عدة مسودات (غير مؤرخة)، هذا بالإضافة إلى كتاباته المُبالغة في استعمال الرُّسوم البيانيَّة المُلوَّنة الَّتي تجعل العرضَ التَّقديميَّ في النَّسخ المطبوعِ أمرًا صعبًا. إنَّ الكتابة الرقمية لمقالاتِ **پورس** تجعلُها في متناولِ الجميع، وتقدِّمُ مادةً خامةً لمزيد من الدِّراسة لمفاهيمه. وبما أنَّ هناك حوالي ألفيْ صورةٍ موجودة الآن، فقد بدلَ مجموعةٌ من الباحثين المهتمين بإرثِ **پورس** جهداً كبيراً في رقمنةِ المخطوطاتِ المتأخرةِ المُهمة، والَّتي يبلغ عددُ صفحاتِها حوالي خمسين ألفِ صفحةٍ. يمكنُ، بعد ذلك، نسخُ هذه المواد المعفية من حقوق الطَّبع والنَّشر، وتجميعِها من قِبل الباحثين في جميع أنحاء العالم: باعتبارها إعادة بناء تخمينية لأعماله المقصودة، أو بحثا لتطبيق أفكاره، أو لمواصلة تطوير كثير من أفكاره الواعدة. وبعد ذلك يمكنُ لأفكار **پورس** أنْ تستمرَ في التَّقدم، عبر وسائل الإعلام وعبرَ الإنترنت، بمشاركة واسعة من وجهاتِ النَّظر العلميةِ وغيرها من التَّخصُّصات، كما كان يأمل **پورس**.».[2]

كلُّ منْ يقرأ هذا النَّص التَّعريفيَّ للعالم والفيلسوف الأمريكيِّ **پورس** إلاَّ ويندهشُ من سعةِ اطِّلاعه، ومنْ غزارةِ إنتاجِه، ومن شدةِ ارتباطِه بما هو عملي؛ إذ كانَ موظفا كمساح جيوديسي، وككميائي لمدة تزيد عن

2- انظر الموقع الإليكتروني لمكتبة هارفارد:

«One of the most creative and versatile intellectual figures of the last two centuries, Charles Sanders Peirce was a mathematician and a scientist, but is now best known as a philosopher, the founder of American pragmatism, and as a theorist of logic as semiotic (a theory of how human experience grows by means of the mediating structures we create). For 32 years he practiced geodesy and chemistry for the U.S. Coast and Geodesic Survey, and his polymathic mind led him to research and writing on an immense range of topics. Peirce called himself a logician, and his logical theories informed his work in pragmatism, metaphysics, scientific analyses, historical studies, and even his experimental work. The logic of scientific methodology, particularly the logic of discovery, interested him deeply, and makes his work significant today. Interest in Peirce's concepts now goes far outside the boundary of academic philosophy, with groundbreaking contributions to mathematics, experimental psychology, cosmology, cartography, historiography, and computer science. His work has had application to intelligence organizations, the military, technology, and transdisciplinary science. The Peirce papers at **Houghton Library** comprise an estimated 100,000 pages. Peirce published some 12,000 pages of scientific and philosophical work during his lifetime. The **Chronological Edition** of the Peirce Edition Project has published eight of a projected 30 volumes, editing works through 1892. But Peirce's mature work is only available in his **papers** at Houghton Library. These, estimated at some 50,000 manuscript pages, remain unpublished, and are in brittle condition. While some of these documents are available on a poor-quality, 60-year-old black and white microfilm, scholars have found that linear format limiting, and it fails to capture Peirce›s meaningful use of color. Further, while several efforts have been made to categorize and catalog them, most notably by Richard Robin, Peirce's essentially non-linear working method, his habit of writing and re-writing and revising through several (usually undated) drafts, combined with his increased use of colorful graphical representation, makes presentation in printed transcription difficult. Digitization of the Peirce papers makes the raw material for further study of his concepts freely available to all. While some 2,000 images are now available, a group of Peirce scholars has initiated an effort to digitize the important late manuscripts, some 50,000 pages. This copyright-free material can then be transcribed and assembled by researchers worldwide: as conjectured reconstructions of Peirce's intended works, or in research to apply his ideas, or to continue developing his many promising insights. In online media Peirce's ideas can continue to evolve, with broad participation from scientific and other disciplinary perspectives, as Peirce would have hoped.»

https://library.harvard.edu./collections/charles-s-peirce-papers

ثلاثين سنة، وهي مدة ليست بالهينة بالمقارنة مع المدة الَّتي يعيشُها الإنسان، كما أنَّ هذه الميزة قلَّ توفرُها في فيلسوف معاصر آخر؛ لأنَّ أغلبهم أساتذة في الجامعات، لا يشتغلون إلا بالتَّدريس أو بتصفح الكتب، أو بالتأليف، ولا يُمارسون نشاطاً ميدانياً.[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يتأسف القارئ للإهمالِ الَّذي طالَ جزءًا كبيراً من إنتاجِه العلمي والفلسفي. وعلى الرَّغم من أن بعض الإهمال كان سببه تقني صرف، نظرا للطريقة التي كان يكتب بها، أو التقييدات التي كان يضعها، أو العوامل الطبيعية التي أدت إلى تحلل جزيئات الورق وتآكلها، كما أن زوجته **جولييت** قامت ببيع كل مخطوطاته غير المنشورة إلى شعبة الفلسفة بجامعة هارفارد بعد وفاته سنة 1914، وقد كانت هذه المخطوطات تحت عناية الفيلسوف **جوشيا رويس**، لكن هذا الأخير توفي سنة 1916؛ أي بعد سنتين من وفاة بورس. وقد تزامنت تلك الفترة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، فكان مصير هذه المخطوطات هو الإهمال، [4] إلاَّ أنَّ هذا ليس مُبرِّرا لعدم العناية بإنتاجه الفكري والعلمي وصيانتِه. والأغرب والأدهى من ذلك، هو الحيفُ الَّذي مُني به هذا العلَم من حيث الاهتمامُ من قِبل جلِّ الفلاسفة والباحثين الأوروبيين، وعلى الخصوص الفرنسيين منهم؛ فالمُؤسسة الفرنسية المعنية بالتَّعليم أسقطتْ هذا العلَم من لائحة الفلاسفة المقرَّر دراستهم، [5] كما أسقطتْ أعلاما آخرين لا يقلُّون أهميةً على الذين تم إقرارهم.[6]

3- قدْ يُذكرنا **بورس** بالفيلسوف العظيم **باروخ سبينوزا**، الَّذي اشتغلَ بيده، وأنتج فكرا عقلانيا في منتهى التَّجريد الهندسي، وربما اشتغاله كان الدَّافع الأساسي له هو كسبُ المال ليعيش، وليضمن كرامَته، ولا يمدُد يده لأحد. لكن ما يميّز **بورس**، هو أنَّ فكرَه العملي والبراغماتي كان مُنسجما مع طبيعة وظيفته الَّتي كان يقومُ بها، ففكره لم يكنْ منفصلا عن الواقع الَّذي يعيشُ فيه. لكنَّ براغماتيتَه، ونفعيتَه، وفلسفتَه العملية لم تنعكسْ على وضعِه الاقتصادي والاجتماعي في نهايةِ حياته.

4- للمزيد من المعلومات، يمكن الرجوع إلى الموقع الإلكتروني الخاص بجامعة ستانفورد على الرابط الآتي:

https//:plato.stanford.edu/entries/peirce/

5- هذه هي لائحةُ الجريدة الرَّسمية لوزارة التربية الوطنية الفرنسية، تشتملُ على ثلاثة وثمانين فيلسوفاً، بالإضافة إلى فلاسفة ما قبل سقراط، مُنتقين بأهدافٍ خارجة عن إطار الموضوعيَّة، فالانحياز للفلسفةِ القارية واضحٌ، والدَّليل على ذلك، أنَّها لا تطالُ فلاسفة التَّحليل، ولا توجدُ ضمنها أسماء بارزة في الفلسفة من قبيل **تشارلز بورس**، و**جون ديوي**، و**غوتلوب فريجه**، و**رودولف كارناب**، و**هانز ريشنباخ...**:

Les présocratiques ; Platon ; Aristote ; Zhuangzi ; Épicure ; Cicéron ; Lucrèce ; Sénèque ; Épictète ; Marc Aurèle ; Nāgārjuna ; Sextus Empiricus ; Plotin ; Augustin ; Avicenne ; Anselme ; Averroès ; Maïmonide ; Thomas d'Aquin ; Guillaume d'Occam. N. Machiavel ; M. Montaigne (de) ; F. Bacon ; T. Hobbes ; R. Descartes ; B. Pascal ; J. Locke ; B. Spinoza ; N. Malebranche ; G. W. Leibniz ; G. Vico ; G. Berkeley ; Montesquieu ; D. Hume ; J.-J. Rousseau ; D. Diderot ; E. Condillac (de) ; A. Smith ; E. Kant ; J. Bentham. G.W.H. Hegel ; A. Schopenhauer ; A. Comte ; A.- A. Cournot ; L. Feuerbach ; A. Tocqueville (de) ; J.-S. Mill ; S. Kierkegaard ; K. Marx ; F. Engels ; W. James ; F. Nietzsche ; S. Freud ; E. Durkheim ; H. Bergson ; E. Husserl ; M. Weber ; Alain ; M. Mauss ; B. Russell ; K. Jaspers ; G. Bachelard ; M. Heidegger ; L. Wittgenstein ; W. Benjamin ; K. Popper ; V. Jankélévitch ; H. Jonas ; R. Aron ; J.-P. Sartre ; H. Arendt ; E. Levinas ; S. de Beauvoir ; C. Lévi-Strauss ; M. Merleau-Ponty ; S. Weil ; J. Hersch ; P. Ricœur ; E. Anscombe ; I. Murdoch ; J. Rawls ; G. Simondon ; M. Foucault ; H. Putnam.

***Le Bulletin officiel de l'éducation nationale*, © Ministère de l'éducation nationale et de la Jeunesse >www.education.gov.fr**

6- قال الأستاذُ **علي بن مخلوف** في إحدى الحوارات: «لو ذهبتَ إلى محلٍ لبيع الكتب، وبحثتَ في الحرفِ F، فستجدُ **ميشيل فوكو** بالطَّبع، لكنكَ لن تجدَ **غوتلوب فريجه Gottlob Frege**. أمَّا في البلدان الأنجلوساكسونية، وفي ألمانيا بالخصوص، فيُعَدّ هذا المؤلفُ «موضة» في القمّة. إنَّه يحظى بالمكانة الَّتي يحظى به **ديكارت** عندنا؛ لأنَّه يوفر صرامة من أجل التَّقدم فلسفيًّا. لكنْ في فرنسا، يمكنكَ الحصولُ على شهادةِ الأستاذيَّةِ من دون قراءةِ سطر واحدٍ عنه.« (حوار أجري مع **علي بن مخلوف**، ترجمه إلى العربية **مدني قصري**، مجلة الفيصل الإليكترونية، 1 نونبر 2023). المصدر الأصلي للحوار [مع تنقيح العبارات من طرفنا]:

https//:www.philomag.com/articles/ali-benmakhlouf-je-suis-pour-la-comprehension-plutot-que-pour-la-signification

وتبعا للفكر الفرنسي الانتقائي، وغير الموضوعي في التَّعامل مع الإنتاج الكوني للفكر، والَّذي هيمن على مفكرينا، فإنَّ الفكرَ العربيَّ لم يول أدنى اهتمام لهذا العَلَم، اللَّهم إلاَّ الحديث عنه من منطلق كونه سيميولوجيا يذكر إلى جانب العالم اللِّساني السّويسري **فيردناد دو سوسير** (1857-1913)، دون الإحاطة بأساسيات نزعته الفكريَّة. فبالرَّغم من أنَّ **دوسوسير** لم يؤلف كتاباً سوى المُحاضرات الَّتي دوَّنها بعض تلامذته، ونشروها في كتاب: «دروس في اللسانيات العامة»، مما ساهم في شهرته بين الباحثين، واعتبر المؤسس الحقيقي للبنيوية وللسيميولوجيا، فإنَّ **تشارلز پورس** الَّذي نشر اثنتي عشرة ألف صفحة خلال حياته فقط، فيما بقيت عشراتُ الآلاف من الصَّفحات لم تنشرْ بعد. ومع ذلك، انصبَ الاهتمامُ على الأول بكل ثقله دون الثاني.

إنَّ التَّفسير الَّذي يبرِّر حذفَ قائمة من الفلاسفة من اللائحة المعتمدة من قبل الفرنسيين يقوم على حساسية الفرنسيين من تقويض الكوجيطو الدِّيكارتي؛ لأنَّ القاسم المشترك بين **ڤوتلوب فريگه**، و**تشارلز پورس**، و**رودولف كارناب**، و**كارل ڤوستاف همپل**، و**هانز ريشنباخ**، و**إرنست نيگل**...هو كونهم فلاسفة ينتمون إلى المدرسة التَّحليليَّة، ويناهضونُ العقلانيَّة المُجردة في طابعها غير المجدي، ويحاربُون الميتافيزيقا الضَّارة، ويدافعون عن المعنى، وعن المحتوى المعرفي المرتبطين بالواقع؛ وذلك من خلال التَّحليل المنطقي للغتي الفلسفة والعلم، وأفكارُهم بنات اليوم، ووليدةُ التَّاريخ الحاضر؛ لأنها نتيجة للتقدم المعرفي في كلِّ مجالاته، وهي أبعدُ ما تُستثمر وتُستغلُ في التَّأويلِ الإيديولوجيِّ المتقلب سوى إيديولوجية الدّفاع عن المعرفة والعلم وإلغاء ما سواهما. وكلُّ هذا يُجنبُ الباحثَ التيه، والضَّلال، والضَّياع المعرفي. وبما أنَّ الفكرَ العربيَّ متأثرٌ بالفكرِ الفرنسيِّ في مُجْملِه، فإنَّ المفكرين العربَ، ظلتْ عقولُهم حُبلى بالميتافيزيقا الضَّارة، ومُثقلة بالإيديولوجيا الضالة، أو تعيشُ خارج التاريخ، كحال المهتمين بالتراث، يسجنون أنفسهم ضمن مقولات أكل الدَّهر عليها وشرب، دون بعث الرُّوح فيه وتجديدِه، إنَّهم يستهلكون الأفكار الفلسفيةَ المُجرَّدة، القديمة منها والحديثة والمعاصرة، مع التقصير في استيعاب مضامينها الفضفاضة، لأنَّها لا معنى لها في الأصل، وقد يؤولونها بما يتناسب مع النهج الإيديولوجي الذي يريدونه، ولا ينتجون أفكاراً عملية جديدة ودقيقة ومفيدة تساهم في تقدم الفكر العربي. فما أحوج هذا الفكر العربي للمنهج العلمي، وللتحليل المنطقي للغة، وللنظرة الواقعية للعالم، بدلا من كتابة الإنشاء، والارتماء في وحل الإيديولوجيات العقيمة.

على الرغم من أنَّ **پورس** كانَ براغماتيا، ومن دعاة فلسفةِ الفعل الَّتي تؤمن بالنتائج الَّتي لها أثر مادي في الواقع، فإنَّ هذا لم ينعكسْ على حياته الشَّخصية، فبالرغم من أنَّه سليل عائلة تعد من النُّخبة المثقفة والأرستقراطية، إذ كان أبوه عالم فلك، وأستاذا في جامعة هارفارد، وكانت أمه بنت عضو في مجلس الشُّيوخ. لكن نهاية حياته كانت معاناة مع الفقر، بسبب طرده من الجامعة لارتباطه بامرأة بعد غياب زوجته الَّتي كانت ما تزال على ذمته، ولم يجدْ من مساند سوى زملائه، وعلى رأسهم صديقه الحميم **وليام جيمس**. وهذا يُبعدُ الشُّبهات عن النَّزعة البراغماتية في كونها نزعة انتهازية خالية من الأخلاق، وكيف تكون كذلك، وصاحبُنا **پورس** قرأ جزءً مهماً من كتابات **إيمانويل كانط**، وهو لم يتجاوز عمره ست عشرة سنة.

عين على ترجمة المقالة:

فيما يخصُ ترجمة عنوانِ المقالة: «**The Fixation of Belief**»، يدل اللَّفظ الأول «***fixation***» على الاستقرارِ والثَّباتِ، وهو من الفعل «***fix***»، الَّذي يرجعُ إلى اللَّفظ اللاتيني «***fixus***»، بوصفه اسم مفعولٍ للفعل «***figere*** »، الَّذي يفيدُ «الرَّبط»، و«الإثبات»، و«الإحكام».[7] أمَّا لفظ «***Belief***»، فيدل على ثلاثة معانٍ: **الأول** هو: «حالٌ أو عادةٌ يتم فيها وضعُ الثقة في شخص أو شيء ما.»[8]، و**الثاني** هو: «شيءٌ يتمُ الإيمانُ به، وعلى وجهِ الخصوص: عقيدةٌ أو مجموعةٌ من المُعتقدات الَّتي تدين بها مجموعةٌ بشريةٌ.»[9]، و**الثالث** هو: «الاقتناع بصدق عبارة أو واقع بعض الموجودات أو الظواهر، وعلى وجه الخصوص لما يكون هذا الاقتناع قائما على فحص الأدلة.».[10] إن أقرب معنى لتصور **پورس** للإيمان من هذه المعاني الثلاثة هو المعنى الثالث.

لَمَّا نريدُ ترجمةَ هذا العنوان بناءً على هذه المعاني، فإنَّنا سنختارُ ترجمة لفظ «***fixation***» بلفظ «ترسيخ»، وسنختارُ ترجمة لفظ «***belief***» بلفظ «الإيمان»، وبذلك تكون ترجمةُ العنوان بالصَّيغة الآتية: «ترسيخُ الإيمان». قد يُعترض علينا فيما يخصُ ترجمة اللَّفظ المضاف إليه «***belief***» باختيار لفظ «الاعتقاد» بدلاً من لفظ «الإيمان»، لكنَّ كاتبَ هذه المقالة يُوضِّح على نحو جليٍّ في المقالة المشهورة الَّتي صدرت بعد هذه المقالة، والَّتي عنوانها: «كيف نجعلُ أفكارَنا واضحةً» أنَّ لفظي «الشَّك» و«الإيمان» لهما معنيين دينيين، ويتم تناولُهما في النِّقاشات الدِّينية، قال:« إنَّ الشَّكَ والإيمان، كما يتم استعمالُهما على نحو شائع، يتعلقان بالجدالات الدِّينية أو غيرها من الجدالات الخطيرة، لكنَّني أستعملُهما هنا للإشارة إلى بداية أيِّ إشكالٍ وإلى حلِّه، مهما كانَ هذا الإشكالُ هينا أو عظيما.».[11] وما يدلُ على أنَّ المسألةَ تتعلق بالإيمان الرَّاسخ بدلاً من الاعتقاد الظَّني قوله: «لقدْ كانَ الحشَّاشون، أو أتباع شيخ الجبل، يُسارعون إلى الموتِ عند أقلِّ أوامره، لإيمانهم بأنَّ طاعتَه ستضمنُ لهم السَّعادة الأبدية. ولو شكَّكوا في ذلك لمَا فعلوا مثل ما فعلوه.».[12] فما يبدو مضاداً للشك هنا هو الإيمان من خلال النَّص، ثم إنَّ لفظ «الاعتقاد» محمولٌ في العربية على الظَّن، لأنَّ فعل «اعتقد» يفيد «ظن»، و«حَسِب»، و«تصوَّر»، و«توهَّم».

7- *Merriam-Webster's Collegiate Dictionary*, Springfield, Massachusetts, U.S.A, Eleventh Edition, 2003, p.474

8- *Ibid*., p.111. « **1: a state or habit of mind in which trust or confidence is placed in some person or thing.** ».

9- *Ibid*., p.111. « **2: something believed; *esp*: a tenet or body of tenets held by a group.** ».

10- *Ibid*. p. 111. « **3: conviction of the truth of some statement or the reality of some being or phenomenon esp. when based on examination evidence.** ».

11- Peirce Charles Sanders., « How to Make our Ideas Clear », *Popular Science Monthly* 12 (January 1878), 286-302: « **Doubt and Belief, as the words are commonly employed, relate to religious or other grave discussions. But here I use them to designate the starting of any question, no matter how small or how great, and the resolution of it.** ».

12- انظر الفقرة الثانية من القسم الثالث من هذه المقالة.

وقد يدَّعي آخر، فيقول: إنَّ لفظ «إيمان» العربي يُترجَم باللفظ الإنجليزي «***faith***»، فيكون جوابُنا أنَّ هذا اللَّفظ يدل على «الإخلاص»؛ لأنَّ الصِّفة منه (أو اسم الفاعل) الَّتي هي «***faithful***» تفيد «المُخلص»، بينما يترجَم لفظ «مؤمن» بلفظ «***believer***»، والنَّاظر في ترجمات معانِ القرآن يتبيَّن له أنَّ «الإيمان» لا يدلُ عليه سوى لفظُ «***belief***».

قد يرُد علينا آخر بأنَّ اختيار لفظ «الاعتقاد» أولى من اختيار لفظ «الإيمان»؛ لأنَّ من شأن ذلك تجنب الخلط بين المفهوم الفلسفي والمفهوم الديني، والقارئُ للمقالة قد ينخدعُ، ويعتقد أنَّ مضمونَها دينيٌّ صرف. والجوابُ على هذا الاعتراض يتجلى في غرضِ **پورس** في هذه المقالة أو في غيرها، فهو يسعى إلى **إعادة بناءِ المفاهيم، وإفراغِها من المضمون الدِّيني**، فكما أنَّ للقدر معنا دينيا، فقد أفرغَه **پورس** من طابعِه الدِّيني، سواء كان جبْرا أو حتميةً، وجعله مفهوما واقعيا، فنحنُ نعلمُ أنَّ الموتَ قدرٌ، لكنَّه واقعٌ متحققٌ لا محالة، ولا علاقةَ له بالمعنى الَّذي يفهمُه به المتدينون، قال:« إنَّ القدرَ يعني فقط ما هو مُؤكَّد أنْ يتحقَّقَ، ولا يُمكنُ تجنبُه بأي حالٍ من الأحوالِ. إنَّه لمن الخُرافة أن نفترض أنَّ نوعًا معينًا من الأحداث قد تم تحديدُها على الإطلاق، ومنَ الخُرافة أنْ نفترضَ أن لفظ القدرِ لا يمكنُ أبدًا أن يتحرَّر من تلوثه الخُرافي. فنحن جميعا مقدَّرٌ لنا أنْ نموتَ.»[13]، وكذلك، فعل مع **مفهوم الإيمان**، فقد أفرغَه من مضمونه الدِّيني والميتافيزيقي، وجعله مفهوما علميا، فإيمانُنا بالعلم وبالمنهج العلمي لا يختلفُ عن إيماننا بالقضايا الدِّينية من حيث استعمالُ اللفظ، لكن غرض **پورس** في هذه المقالة هو استبدالُ الإيمانِ الدِّيني، والإيمانِ الميتافيزيقي القبلي، والإيمانِ الوثوقي العنيد بالإيمانِ العلمي. وتركيزُه على استعمال لفظ الإيمانِ بدلا من ألفاظ أخرى، لأنَّ الإيمانَ، بالنسبة إليه، **عادةٌ راسخةٌ في طبيعتنا**، وهو طريقٌ للعمل، فلا يمكن أن تعملَ شيئا على الوجه المطلوب إلاَّ إذا كان عملك مسبوقا بإيمانٍ راسخ، قال: «**إنَّ الشُّعورَ بالإيمانِ مُؤشرٌ مُؤكَّدٌ إلى حد ما على وجودِ عادةٍ راسخةٍ في طبيعتنا، والَّتي ستُحدِّد أفعالَنا.**»[14]، ولا يقفُ الأمر عند هذا الحد، بلْ يوجِّه رغباتنا ويجسِّد أفعالنا، قال: «**فإيماننا يُوجِّه رغباتِنا ويُجسِّد أفعالَنا.**».[15] ولهذه الاعتبارات اتخذتْ ترجمتُنا للعنوانِ صيغة «ترسيخ الإيمان».

ينبغي الإشارةُ إلى إبراز الفرق بين بعض المصطلحات الأساسية الواردة في هذه المقالة، والتي وردت فيها على سبيل الترادف أحيانا، لكنَّ الفرق بينها جليٌّ. يتعلق الأمر بالمصطلحات الثلاثة المتقاربة من حيث المعنى، وهي: «***Ratiocination***»، و«***Reasoning***»، و«***Inference***». **الأول** يشير إلى «عملية فكرية دقيقة»، **والثاني** يشير إلى «فعل التفكير في شيء ما على نحو منطقي ومعقول من أجل استخلاص نتيجة أو حكم»، **والثالث** يفيد «فكرة أو نتيجة مُستخلصة من الأدلة أو من التعقل». وقد اخترنا مصطلح «**الاستنتاج**» كترجمة

13- الهامش الثاني في مقالة «كيف نجعل أفكارنا واضحة». وهذا نصه:

«Fate means merely that which is sure to come true, and can no how be avoided. It is a superstition to suppose that a certain sort of events are ever fated, and it is another to suppose that the word fate can never be freed from its superstitious taint. We are all fated to die. »

14- انظر الفقرة الثانية من القسم الثالث من هذه المقالة.

15- نفس الفقرة.

لمصطلح «***Ratiocination***»، واخترنا مصطلح «**التعقل**» كترجمة لمصطلح «***Reasoning***»، واخترنا مصطلح «**الاستدلال**» كترجمة لمصطلح «***Inference***». وقد حرصنا في هذه التَّرجمات على ما يُناسب سياق نص المقالة، وما ينسجم مع اصطلاحات المناطقة.

وعلى غرار ذلك، هناك ثلاثة مصطلحات أخرى تبدو مترادفة كذلك، لكن يوجدُ فرقٌ بينها، وهي: «***Inquiry***»، و«***Investigation***»، و«***Examination***»؛ **الأول** يفيد «الاستخبار، أو طلب الخبر، وهو تحقيق نسقي عادة ما يتعلق بالمصلحة العامة، أو هو فحص للوقائع والمبادئ، ويرادفه البحث.». و**الثاني** يشير إلى «بحث أو فحص دقيق يهدف إلى الكشف عن الوقائع.». و**الثالث** يشير إلى «اختبار صوري يتم القيام به لبيان المعرفة بموضوع محدد.». وقد اخترنا مصطلح «**البحث الاستكشافي**» كترجمة لمصطلح «***Inquiry***»، واخترنا مصطلح «**التحقيق**» كترجمة لمصطلح «***Investigation***»، [16] واخترنا مصطلح «**الفحص**» كترجمة لمصطلح «***Examination***»، وقد راعينا في هذه الترجمات السِّياقات في نص المقال.

16- وقد ميزناه عن لفظ التحقق **Verification**.

ملخص المقالة:

تقديم:

تندرجُ هذه المقالةُ ضمن الجُزء الأول من «مختارات كتابات **پورس** الفلسفية». يشمل هذا الجزء المقالات الَّتي كُتبت من سنة 1867 إلى سنة 1893. وقد جاء ترتيبُ هذه المقالة السَّابعة ضمن مقالات المجموعة، وترتيبُها الأول ضمن سلسلة المقالات المُرتبة ضمن خانة «توضيحات لمنطق العلم»، وتطال هذه الخانة ست مقالات، نعرضُها كالآتي: مقالة «ترسيخ الإيمان»، التي نحن بصدد ترجمة نصها (نشرت سنة 1877)، ومقالة «كيف نجعلُ أفكارنا واضحة» (نشرت سنة 1878)[17]، ومقالة «مذهب الحظوظ» (نشرت سنة 1878)[18]، ومقالة «احتمالية الاستقراء» (نشرت سنة 1878)[19]، ومقالة «نظام الطبيعة» (نشرت سنة 1878)[20]، ومقالة «الاستنباط، والاستقراء، والفرضية» (نشرت سنة 1878).[21]

جاء في مقدمة الناشرين (**ناتان هاوزر**، و**كريستيان كلوزيل**) للمقالة ما يلي: «لقد طوَّر [**پورس**] في المقالة الأولى أطروحتَه القائلة إنَّ الفكرَ شكلٌ من أشكال البحث الاستكشافي، وأنَّ الإيمانَ كبحٌ للشك، ويُؤكد على طبيعة التَّصحيح الذاتي للمنهج العلمي. ويناقشُ كذلك أربعةَ مناهج لترسيخ الإيمان (منهج الإصرار، ومنهج السُّلطة، والمنهج القبلي، ومنهج العلم) ويثبت بأنَّ المنهج الرَّابع فقط [المنهج العلمي]، والَّذي يستدعي وحدَه «الدَّيمومة الخارجية»، يمكن أنْ يؤدي إلى النَّجاح على المدى الطويل.».[22]

17- Peirce, C. S., " How to Make our Ideas Clear ", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings,* Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indian University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.124-141

18- Peirce, C. S., " The Doctrine of Chances", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings,* Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indian University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.142-154

19- Peirce, C. S., " The Probability of Induction", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings,* Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.155-169

20- Peirce, C. S., " The Order of Nature", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings,* Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indian University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.170-185

21- Peirce, C. S., " Deduction, Induction, and Hypothesis ", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.186-199

22-Peirce, C. S., "The Fixation of Belief", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, Vol. 1, (1867-1893), edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, p.109 **« In the first paper, he develops his thesis that thought is a form of inquiry, and belief the cessation of doubt, and he emphasizes the self-corrective nature of the scientific method. He further discusses four methods of fixing belief (those of tenacity and of authority, the a priori method, and the method of science) and argues that only the fourth, which alone appeals to an «external permanency,» can lead to success in the long run. »**

وقد نُشرت هذه المقالة لأول مرة في مجلة «العلم الشعبي الشَّهرية» في العدد الثاني عشر، شهر نونبر من سنة 1877.[23] وقد أشار الناشران **ناتان هاوزر** و**كريستيان كلوزيل** المذكورين سابقا إلى ذلك في مقدمتها. كما نُشرت باللُّغة الفرنسية في «المجلة الفلسفية لفرنسا والخارج»، السنة الثالثة، المجلد السابع، دجنبر 1878.[24] لذلك، فإنَّنا سنعتمدُ بالأساس على النُّسخة الَّتي اعتمدها الناشران، لأنَّها نسخةٌ مُحققة، وسنستأنس بالنَّسخة الأولى، وبالنَّسخة الفرنسية من أجل المُقارنة والمُراجعة.

ما الغاية من كتابة المقالة، والمقالات الأخرى؟

من شدة اهتمام **پورس** بالمنهج العلمي، فقد جعل غرضَه من كتابةِ سلسلة من المقالات، وهذه واحدة منها، هو تحديدُ خصائص المنهج العلمي من أجلِ ترسيخ الإيمان، ليس بشيء آخر سوى الإيمان بالعلم، وبيانِ ما يناقضه من المناهج الأخرى، قال:« إنَّ وصفَ منهجِ البحث العلمي هو غرضُ هذه السِّلسلة من المقالات. وليسَ لدي في الوقت الحاضر سوى مجالٌ لإدراك بعض نقاط التَّناقض بينه وبين المناهج الأخرى في ترسيخِ الإيمان.».[25]

تنقسمُ المقالةُ الَّتي نقدِّم ترجمتَها إلى خمسة أقسام، ركَّز **پورس** في كلِّ قسمٍ منْها على مسألة محدَّدة، ويمكنُ عرضُ هذه الأقسام بحسبِ القضايا المُتضمنة فيها، مع تتبُع مضامين الفِقرات كلِّ واحدةٍ على حدة، والإشارة إلى أرقامِها بما يوجَدُ داخلَ المعقُوفتين:

القسم الأول: أهميةُ المنطقِ في العلمِ، والكشفُ عن الحقيقةِ، والنَّظر إلى الاستدلالِ من بابِ التَّطور التَّاريخي. من الفقرة [1] إلى الفقرة [7].

[1] لقدْ تحدَّث **پورس** في بدايةِ المقالة عن المنطقِ وأهميتِه، وتحديدِ طبيعتِه. فبالرَّغم من أنَّ القليل من النَّاس هم الَّذين يهتمون به، فذلك لا يرجعُ إلى كون كلِّ النَّاس ماهرُون في مُمارسته بما فيه الكفاية، فكلٌّ من ادعى ذلك منهم، فهذا الادعاء يخصُه وحده، ولا يعني الآخرين في شيءٍ.

[2] إنَّ الامتلاك التَّامَ للقُدرة على استخلاص الاستدلالات، ليس هبةً فطرية تُولدُ مع الإنسان، وإنَّما هي مهارةٌ تحتاجُ إلى التعلُّم والمُمارسة، ورُبما تحتاجُ إلى أنْ تدوَّن في مُؤلَّف خاص. وهنا يمكنُ أن نوجِّه سؤالا إلى **پورس**: ألمْ يكنِ المنطقُ علماً مدوَّنا في كتابٍ خاصٍ بذلك؟ ألم يؤلِّف **أرسطو** الأورغانون (الآلة)، وخصَّص له ستة كتب؟ ألم يكن علماً يدرَّس؟ وجواب **پورس** هو التَّجاهل لما قام به **أرسطو**؛ لأنَّه لم يذكر اسمَه في المقالة،

23- Peirce, C. S., « The Fixation of Belief », *Popular Science Monthly* 12, November 1877, pp.1-15

24- Peirce, C. S., “Comment se fixe la croyance”, *Revue Philosophique de la France et de l’étranger*, Troisième année, Tome VII, décembre 1878, pp. 553-569

25- الفقرة [29] من المقالة المترجمة.

ولكنَّه أشار إلى أنَّ منطقه لم يتضمن شيئا مهما سوى نظرية القياس الَّتي تبدو له فارغة من المُحتوى المعرفي والتَّجريبي. لقد أشار إلى أنَّ المدرسيين في القرون الوسطى كانوا يدرِّسون المنطق، وكان هو العلم الَّذي يحتلُ المرتبة الثانية بعد تدريسِ علم النَّحو، وقد اتبعوا في ذلك أسلافهم الرُّومان، لأنَّهم كانوا يرون أنَّ المنطقَ علم سهل، لكنَّ المنطق انحصَر عندهم في نظرية القياس، فبمُجرد أنْ يُصبح الطَّالب ماهراً في القياس، فذلك يعني أنَّه أحكم صناعةَ المنطقِ. ثم إنَّ المدرسيين كانوا يعتبرون الحقيقة إمَّا عقليةً أو نقلية: إمَّا تستندُ إلى المنطقِ، أو تستند إلى النَّص الشَّرعي، وبما أنَّهم يوفقون بينهُما، فإنَّ الحقيقة تُرَد في الأخير إلى موافقةِ النَّص الشَّرعي.

[3] إنَّ أول من كشفَ عن عيوبِ القياسِ الأرسطي هو الفيلسوفُ **روجر بيكون** (عاش في القرن الثالث عشر)، الَّذي اعتبره بمثابة استدلالٍ يحولُ دون الوصولِ إلى الحقيقة؛ وذلك لأنَّه استدلال فارغٌ، وصوريٌّ، ومجردٌ، وعمليات عقليةُ تحصيليةُ، ومصادرةٌ على المطلوب، وقد اختار التَّجربة كبديل للمنطقِ؛ فهي الَّتي يُمكن أنْ تعلمنا كلَّ شيء. لكنَّ تأثُر **روجر بيكون** بالأفلاطونية، جعله يعتبرُ النُّور الدَّاخلي له القدرة على اكتشاف ما لم تستطعْ المُدركات الحسية الكشفَ عنه.

[4] لكنَّ النَّكسة الَّتي تعرَّض لها المنطقُ الأرسطي كانت مع ظهور «الأورغانون الجديد» للفيلسوف الإنجليزي **فرنسيس بيكون** (عاش في النِّصف الثاني من القرن السادس عشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر)، الَّذي انتقدَ نظرية الكُليات الأرسطية، ورفضَ القياسَ، وأحل محله الاستقراء؛ لأنَّه هو المنطق الَّذي يصلحُ لفهم الواقع التَّجريبي، وهو الَّذي يُمكِّننا منْ فهمِ العالم. لكنَّ الخطوات المنهجية الَّتي وضعها **فرنسيس بيكون**، لم تكن تامة في نظر **پورس**.

[5] لمْ يكنِ العلماءُ، وبالخصوص علماء العصر الحديث في غنى عن المنطقِ أو المنهجِ، فقد استطاع **يوهان كبلر** بعبقريتِه الفذةِ أن يستعينَ بالهندسة ليُقنع النَّاس بتصوره الفلكيِّ الجديد، لكنَّه مع ذلك سيفشل، وسيستنفذ الاستمرار في تحقيق انتصاراته بسبب عيوب استدلالية منطقية، والَّتي كان بالإمكان تجنبُها لو تسلح بالآليات المنطقية الحديثة.

[6] وعليه، فكلُّ إنجاز علميٍّ في أيِّ مرحلة تاريخية يقدِّمُ نموذجا عن العيوبِ الاستدلالية، وكلُّ خطوة في العلم هي بمثابة درس في المنطق. إنَّ العالم الكيميائي **لافوزيه**، على سبيل المثال، لم يولِ الشعارات الخيميائية السَّائدة في عصره، والَّتي كانت تستعين بالتلاوة والصَّلاة، وإنَّما تعامل مع الأدوات والأشياء الواقعية بدلاً من التَّلاعُب بالألفاظ والاعتقاد في الأوهام، وبذلك استطاع أنْ ينجحَ في تحقيق حُلمه المعرفي من خلال هذا المنهجِ.

[7] كما أنَّ النِّقاشات الدَّائرة حول الدَّاروينية لا تخرجُ عن كونها مسألة منطقية أو منهجية، فقد طبَّق **داروين** المنهج الإحصائي الاحتمالي على علم الأحياء، وقد استعير هذا المنهج من تطبيقه في فرع علمي خاص، يتعلق بالنظرية الحركية للغازات، إذ استطاع العالمان الفيزيائيان **كلاوسيوس** و**ماكسويل** أن يُحققا النَّجاح في

حساب احتمالِ حركة جزيئات الغاز بنسب دقيقة. وعلى الرَّغم من أنَّ **داروين** لم يحقق ما كان يصبو إليه، فإنَّه راهن على المستقبل، الَّذي سيمكن العلماء من تحديد الانتقاء الطَّبيعي في كلِّ حالة فردية. ومهما يكن، فالعلم يتم فيه التَّداخل بين أسئلة الواقع وأسئلة المنطق، وهذا يبرز أهمية المنطق أو المنهج العلمي.

القسم الثاني: معنى المنطق، وإفراغ الاستدلال من صيَّغه المُجردة، وربطه بالواقع، وكيف يكون المنطق مُرشدا ومُوَّجها للعقل. من الفقرة [8] إلى الفقرة [12].

[8] إذا كانَ الاستدلالُ كما تصوَّره **أرسطو** وأتباعُه مجرد عملية صورية فارغة معرفيا، وتقتضي ترتب ولزوم النتائج عن المُقدمات مهما كانت المضامين الَّتي تحتويها المُقدمات والنتائج، وحتَّى لو كانت كاذبة، فإنَّ **پورس** يعتبرُ الاستدلالَ المنطقي **انتقالٌ ممَّا نعرفُه إلى ما نجهلُ معرفتَه**، فمن خلال المُقدمات الَّتي تتضمن وقائع نعرفُها، يمكننا استنتاج وقائع نجهلُ معرفتَها، وبهذا ربط **پورس** المنطق بالواقعِ وبالمعرفةِ العلميةِ. إنَّ الاستدلال الجيِّد في نظره، هو الَّذي يمُدنا بنتيجة صادقة (من حيث المحتوى المعرفي) انطلاقاً من مُقدمات صادقة (من حيث المحتوى المعرفي). وعليه، فالصِّحة الَّتي هي لزومُ النتائج الصَّادقة عن المقدمات الصَّادقة، هي مسألة واقع، وليستْ مسألة تفكير فارغ. لذلك اعتبر الاستدلالَ يتخذ الصُّورة الآتية من حيث الصِّدق الواقعي، ومن حيث الصِّحة العقلية:

➢ **الصِّدق الواقعي:**

الواقائع المصرَّح بها في المقدمات (أ) ⟵ الوقائع المُستخلصة من المقدمات (ب)

وهذا معناه أنَّ المقدمات الصَّادقة تؤدي بالضَّرورة إلى نتائج صادقة، ولا يتعلق الأمرُ بمقدمات لا نعرفُ ما إذا كانت صادقةً، أو موجودةً أصلا في الواقع، والَّتي لا يمكن أن تؤدي إلى نتائج صادقة واقعيا.

➢ **الصِّحة الاستدلالية:**

إذا كانت (أ) صادقة واقعيا، فإن (ب) ستكون بالضرورة صادقة واقعيا

ولهذا، فحسب هذا الاستدلال، تبقى النتيجة الصَّادقة صادقة ما لم يتدخل مانع يحول دون قبولها، وتظلُ النتيجةُ الكاذبةُ كاذبةً ما لم نجد بدا من مقاومة قبولها.

[9] على الرَّغم من أنَّنا كائنات منطقية من حيث الطَّبع على المستوى النَّظري والصُّوري، فإنَّ هذا لا يعني أنَّنا على هذه الحال على وجه تام على المستوى العملي والواقعي. فإذا كان أغلبنا متفائلاً أكثر مما يبرِّره المنطقُ على المستوى الصوري والنظري، وعلى الرَّغم من غياب وجود وقائع يمكن الاستناد إليها، فإنَّنا نظل متفائلين وراضين على أنفسنا، ما لم تقلصْ التَّجربةُ من آمالنا، وفي غياب التَّجربة، فإن تفاؤلنا يكون مبالغاً

فيه. إنَّ المنطق العمليَّ هو الخاصية المُفيدة أكثر الَّتي يمكن أن يمتلكها الكائن البشري، وهي ميزةٌ ناتجةٌ عن الانتقاء الطَّبيعي، وهذا يدل على أنَّ **پورس** يؤمن بالدَّاروينية. أمَّا في الأمور غير العملية، فإنَّ الفكرَ سيسقط لا محالة في المغالطات.

[10] لقد اعتبر **پورس** العملية الاستدلالية مُجردُ **عادة** أو **طبع للعقل**، بغضِ النَّظر عما إذا كانت هذه العادة قائمة فيه أو مكتسبة. إنَّ عادة العقل تكون جيدة أو غير جيدة استنادا إلى ما تقدمُه من نتائج صادقة انطلاقاً من مقدمات صادقة أو كاذبة، وينظر إلى الاستدلال على أنَّه صحيح أو غير صحيح دون الإشارة إلى صدق أو كذب نتيجته، لكن عادة العقل هي الَّتي تحدِّد هذا الاستدلال، وهي التي تنتج نتائج صادقة أو غير صادقة. إنَّ صياغة عادة العقل الَّتي تحكم أي استدلال في قضية يقوم صدقها على صحة الاستدلالات الَّتي تحدِّدها هذه العادة تسمى بـ «**المبدأ الإرشادي**»، ومقتضى هذا المبدأ، أنَّ ما يصدقُ على هذا يصدقُ على ذاك بحكم العادة، وهذا يجعلنا نقرُّ بأنَّ **پورس** حوَّل الاستدلال الاستنباطي الفارغ من المُحتوى المعرفي إلى استدلال استقرائي له مضمونٌ تجريبي؛ لأنَّ المثالَ الَّذي قدَّمه له طبيعة تجريبية: إذا وضعنا قرصا دوارا من النُّحاس بين قطبي مغناطيس، فإنَّنا نلاحظ أنَّه قد استقر في مكانه، وما يحدث لقطعة النُّحاس، سيحدث لأي قطعة أخرى من أي معدن بحكم العادة.

[11] قد يكونُ من المفيد تدوين مبادئ إرشادية في كتاب مخصوص، لكنَّ هذا الكتاب لن يكون مفيدا لشخص يستعمل عقله فيما هو عملي، ويرتبط بواقع التجربة، إنَّما يفيد العقل المجرد الَّذي يفكر في المجهول، والَّذي لا يسعه التَّحقق من نتائجه بواسطة التَّجربة. فمثل هذا العقل يفقدُ البوصلة، وتضيع جهوده سُدا، وتتفرق به السُّبل، ويصبح ضائعا مثل السَّفينة الضَّالة في عرض البحر، والَّتي لا يُوجد على متنها من يعرفُ قواعد الملاحة. فالمبدأ الإرشادي يلعبُ هنا دورَ القبطان الَّذي يوجِّه السَّفينة نحو الاتجاه الصَّحيح الَّذي يقودُ العقلَ إلى النَّجاة.

[12] ليست كلُّ واقعة بمثابة مبدأ إرشادي. لأنَّ الوقائع تنقسم إلى فئتين: هناك وقائع من المسلم به أنها مبادئ إرشادية؛ لأنَّها تتضمن سؤالا عمَّا إذا كانت نتيجة مُحدَّدة مترتبة عن مقدمات محدَّدة، وهناك وقائع تتخذ كموضوعات للبحث، ولا تتضمنُ سؤالا عمَّا أذا كانت نتيجة محدَّدة مترتبة عن مقدمات محدَّدة. إنَّ هذه الوقائع هي ما تم افتراضُه عند طرح السُّؤال لأول مرة. وبناء على هذا، فنحن أمام حالين للعقل: حالُ الشَّك، وحالُ الإيمان، والعبورُ من حالٍ إلى آخر أمرٌ ممكنٌ، مع بقاء موضوع الفكر على حاله. إنَّ هذا الانتقال يخضعُ لبعض القواعد الَّتي تُلزم كلَّ العقول. فبما أنَّ الوقائع الَّتي تمثِّل المبادئ الإرشادية يجبُ أن نعرفَها قبل أن يكونَ لنا تصورٌ واضحٌ عن الاستدلال، فلا يمكنُ بحالٍ من الأحوال أنْ نبحثَ عن صدقها أو كذبها. وبما أنَّها تتوافقُ مع هذه المبادئ، فإنَّها لنْ تقودَنا إلى نتائج كاذبة انطلاقا من مقدمات صادقة. بما أنَّ التَّصورات نتاج للتأمل العقلي، فإنَّها قد تختلطُ بأفكارنا العادية، ويترتبُ عن ذلك خلطٌ فادح، وهذا ما يحدثُ لمَّا نتحدثُ عن الشَّيء، وخاصيةِ الشَّيء، فنحن نرى شيئاً ما أزرق أو أخضر، لكنَّنا لا نرى خاصيتي كونهما أزرق أو أخضر،

لأنَّ تينك الخاصيتين نتاجٌ للتَّأمل العقلي. ولهذا، فلمَّا يتجاوزُ العقل المستوى العملي الضيق، فإنَّه يكونُ مشبعا بالميتافيزيقا، ولا يمكنُ ردُّه إلى صوابه دون الالتزام بالمنطق الصَّارم.

القسم الثالث: معنى الشَّك والإيمانِ، والفرقُ بينهما، ووظائفُ كُلِّ واحدٍ منهما. من الفقرة [13] إلى الفقرة [16].

[13] إنَّ ما يميِّزُ الشَّك عن الإيمانِ من حيث المبدأ يتجلَّى في أنَّنا لمَّا نطرحُ إشكالاً، فهذا يشعرنا بالشَّك، وأنَّنا لمَّا نصدرُ حُكما، فإنَّنا نُحس بالإيمان.

[14] إذا كانَ الإيمانُ يُوجِّه رغباتِنا، ويُجسِّد أفعالَنا، وإذا كانَ مؤشراً مؤكداً على وجود عادة راسخة في طبيعتنا، الَّتي تحدِّد أفعالَنا، فإنَّ الشَّك ليس له هذا التأثير/الأثر.

[15] إذا كانَ الشَّك يؤدي إلى حالٍ من عدم الاستقرار وعدم الرِّضا، اللَّتان لا ننفكُ جاهدين من أجل التحرر منهما من أجلِ الوصول إلى الإيمان، فإنَّ الإيمانَ يجسِّد حالاً من الهدوء والرِّضا التي لا نرغب في التخلي عنهما بأي إيمانٍ آخر. إنَّنا لا نتشبثُ بإيماننا فحسب، وإنَّما نتشبث بما نؤمنُ به.

[16] إذا كانَ للإيمانِ تأثيراتٌ إيجابيةٌ، فإنَّ الشَّك له كذلك تأثيراتٌ إيجابية، تتجلى في كونه يُحفِّزنا على البحث، والاستمرارِ في البحثِ حتى يتم تدميرُه والتَّخلص منه من أجلِ الوصولِ إلى حالِ الإيمان.

ويُمكن أنْ نُوضِّح ما أشرنا إليه في هذه الفقرة من خلال الجدول الآتي:

حالا الشك والإيمان	المبدأ والمنطلق	الوضع والحال	عمله وأثره
حالُ الشَّك	- يبدأ لمَّا نطرحُ إشكالا.	- حالٌ من عدم الاستقرار وعدم الرضا، نحاولُ بكل ما أوتينا من أجل التَّحرر منها.	- يحفِّزُنا على البحثِ حتَّى نتخلصَ منه.
حالُ الإيمان	- يبدأ لمَّا نصدرُ حكما، ونحصل على جواب.	- حالٌ من الهدوء والرضا، الَّتي لا نرغبُ في التَّخلي عنها بأي إيمان آخر.	- يوجِّه رغباتنا، ويُجسِّد أفعالنا. - مُؤشرٌ مُؤكَّد على وجود عادة راسخة في طبيعتنا، وهو الذي يحدِّد أفعالنا.

الجدول رقم 1: يبين الفرق بين الشك والإيمان عند تشارلز ساندرز پورس

القسم الرابع: دورُ الشَّكِ في الكفاحِ من أجلِ الإيمانِ. من الفقرة [17] إلى الفقرة [19].

[17] لمَّا يثارُ الشَّك يبدأ الشَّخصُ في الكفاح من أجلِ الوصول إلى الإيمان، وقد سمَّى **پورس** هذا الكفاح بالبحثِ الاستكشافي.

[18] إنَّ الإيمانَ الَّذي نصبو إليه من خلال هذا البحث الاستكشافي يجبُ أن يوجِّه أفعالنا ويُرضي رغباتنا، وهنا تبدو النَّزعتين العملية، والبراغماتية واضحتين في تصوُّر **پورس** للإيمان. إذا كانت إثارةُ الشَّك تؤدي إلى الكفاح، فإنَّه مع الشكِ يبدأ الكفاحُ، وبزواله ينتهي الكفاح، وإذا كانَ الكفاح يسمَّى بحثا استكشافيا، فإنَّ الغرضَ من هذا البحث الاستكشافي هو استقرار الرَّأي، وقد لا يكون هذا الرَّأيُ صحيحا، لأنَّ الوصول إلى الإيمان الرَّاسخ، قد تترتب عنه حال من الرِّضا، وقد يكون هذا الإيمان صحيحا أو خاطئا. إنَّ الكفاح العقليَّ من أجل الوصول إلى الإيمان يقتضي سببا يُؤثر في العقلِ؛ لأنَّه في غياب شيء لا يؤثر على العقل، فلا وجود لدافعٍ للكفاح العقلي. ومع ذلك، فإنَّنا نسعى بأقصى ما لدينا للوصول إلى الإيمانِ الَّذي نعتقدُ أنَّه صحيح.

[19] إذا كانَ استقرارُ الرَّأي هو الغاية المنشودة من وراء البحثِ الاستكشافي، فهذا يؤدي إلى هدم مجموعةٍ من التَّصورات الغامضة والخاطئة، وقد حدَّدها **پورس** في ثلاثة تصورات: **التَّصور الأول**، يرى بأنَّ البحث ينطلق من وضع السؤال، سواء كان منطوقا أو مكتوبا، بل ويبدأ من خلال وضع كل شيءٍ موضع سؤال، على حسب ما أوصى به دعاة هذا التَّصور، لكن **پورس** يردُ عليهم بأنَّ وضع المسألة في صيغة استفهام لا يثيرُ العقل، ولا يجعلُه يكافح من أجل الوصولِ إلى الإيمان. ويرى **التَّصور الثاني** أنَّ البُرهانَ يقود إلى معرفة مطلقة ونهائية لا تقبلُ الشك، ويردُ عليهم **پورس** بأنَّ البرهان يجبُ أن ينطلق من قضايا خالية تماما من أيِّ شكٍ واقعيٍّ. أمَّا **التَّصور الثالث**، فيرى أصحابُه أنه لا يجب التوقف عن الشَّك، ولو تم الوصول إلى ما يقتنع به الجميع، ويرد عليهم **پورس** بأنَّ الشَّك إذا استمر، فإنَّه لا يقودُ إلى أي هدفٍ.

القسم الخامس: المناهجُ الأربعة في ترسيخِ الإيمانِ، ومدى أهميةِ المنهجِ العلميِّ. من الفقرة [20] إلى الفقرة [33].

عرضَ **پورس** أربعة مناهج، يسعى كلٌّ واحد منها إلى ترسيخ الإيمانِ، فالمناهج الثلاثة الأولى، والَّتي هي: منهج الإصرار، ومنهج السلطة، والمنهج القبلي لم تستطع ترسيخ الإيمان الحقيقي، وقد طالتها الشكوك من قبل أتباعها. لكنَّ المنهج العلمي، الَّذي يقوم على الصِّحة الاستدلالية، وعلى الصدق الواقعي، هو المنهج الَّذي لا تحومُ الشُّكوك حول نتائجه، وإنْ كانتْ ليست بيقينية، وهو الَّذي حقَّق للبشرية كثيرا من المكاسب، وسوف نعرضُ لكلِّ منهجٍ على حدة كما ذكره **پورس** في المقالة كالآتي:

أ- منهجُ الإصرار *The method of tenacity*:

[20] يفيد منهج الإصرار حسب **پورس** التَّشبثَ الوثوقيَّ بالرأي (الإيمان) الواحد تشبثاً لا محيد عنه، والتَّمادي في التَّمسك به، وكراهية كلِّ ما من شأنه أنْ يجعلَه يتخلى عنه. وقد حلَّل **پورس** دافعين نفسيين وراء عدم التَّخلي عن الإيمان الواحد، انطلاقاً من أنَّ الشَّخص يحسُ براحةِ البالِ، ويحقِّقُ المُتعةَ الَّتي تجنبُه الانزعاج. لذلك يعيشُ صاحبُ هذا المنهج حياتَه كاملةً، وهو يكافح من أجل الابتعاد عن كلِّ ما من شأنه أنْ يتسبَّب في تغيير إيمانه أو رأيه. يُوجه **پورس** نقداً شديداً لهذا المنهج، يتجلى في كون صاحبه يظلُ متمسكا برأيٍّ فردي ضيق، ويدعى بأنَّه متمسكٌ بالحقيقة، وهذه الحقيقة مفيدة له.

[21] كما أنَّ هذا المنهجَ لا يمكنُه الثبات على أرض الواقع من النَّاحية العملية؛ وذلك لأنَّ الدَّافع الاجتماعي ضده؛ لأنَّ الشَّخص الَّذي يتبناه يجدُ الآخرين يفكرون على نحو لا يختلفُ عنه، وأنَّ لهم آراء جيِّدة كتلك الَّتي لديه، وهذا ينزعُ الثِّقة في إيمانه، ويجعلُه عرضة للتَّشكيك فيه. وعليه، فهذا المنهجُ يقوم على الإصرار والتَّشبث بالرَّأي على نحو قطعي، مع تفضيل استقرار الرَّأي على التَّحقيق.

ب- منهج السُّلطة أو منهج النَّص الدِّيني *The method of authority*:

[22] إذا كانَ منهجُ الإصرار يخُصُ الفرد، فإنَّ منهجَ السُّلطة يخصُ المجتمع. لذلك، تقومُ فيه إرادةُ المجتمع مقامَ إرادة الفرد؛ إذ تهدفُ الدَّولةُ إلى ترسيخ المذاهبِ الَّتي تعتبرُها صحيحة، وتحرصُ أشد الحرص على الحفاظ عليها، وتُلقِّنها للشباب، وفي المقابل تشُنُ حربا على المذاهب المُخالفة، وتمنعُها من التَّدريس، وتُحْضر حتَّى التَّعاطفَ معها أو الدِّفاع عنها، كما تمنعُ الأنظمة القائمة كلَّ ما من شأنه أنْ يساهم في تغيير عقول النَّاس، وتساهم في تجهيلهم، وتحرضهم على المُخالفين، من خلال وصفهم بأوصاف دنيئة، والنَّظر إليهم بكراهية، وكلُّ المخالفين، يطاردُهم الرَّعاع، ويتعرضون إلى أقصى العقوبات.

[23] لقد ارتبط منهجُ السُلطة على مر التَّاريخ بالدِّين وبالسِّياسة، فحيثُما يوجدُ دينٌ أو كهنوت، يوجد هذا المنهج، وحيثما توجدُ أرستقراطية، أو نقابة، أو جمعية ترعى مصالحها، يوجد هذا المنهج. لقد ارتبط هذا المنهجُ بالقسوة، ونسبت إليه أبشعُ الجرائم.

[24] على الرغم من النَّقد الذي وجَّهه **پورس** لهذا المنهج، إلاَّ أنَّه ينسبُ له العديد من المزايا، تتجلى في أنَّه حقق نتائج باهرة في التَّاريخ، فكلُّ ما أنتجته الحضارات القديمة من عُمران ينسب إليه، فالعقائد المنظمة ساهمت في بناء كلِّ الحضارات. وعلى الرَّغم من أنَّ هذه العقائد يطالُها التَّغيير، إلا أنَّ هذا التَّغيير يسير ببطيء، وهذا لا يقاسُ بالحياة القصيرة الَّتي يعيشُها الإنسان في مرحلة سيادتها. يحظى هذا المنهج بقبول كثير من النَّاس، ويفضِّلونه عن غيره من المناهج، ومن اختارَ لنفسه العُبودية الفكرية، فما عليه إلاَّ أنْ يظلَ عبدا.

[25] إذا كانت المؤسسات الدِّينية والسِّياسية هي الَّتي ترعى هذا المنهج، وتحرصُ على ترسيخ نوع من الإيمان، حسب ما تتبناه، فإنَّها عاجزةٌ على تنظيم كلِّ الآراء، فهي تحرصُ على الأهم منها، وتترك الباقي للناس. وعلى الرَّغم من حِرصها على ترسيخ الإيمان، إلاَّ أنَّ بعضَ النَّاس سيدركون أنَّ الأمم والشُّعوب الأخرى لهم إيمان يختلفُ عن إيمانهم، وأنَّ هذه الشُّعوب خضعت لسُلطة العادات والتَّقاليد السَّائدة في مجتمعاتها، كما خضعوا هم أنفسهم إلى السُّلطة السَّائدة في مجتمعهم، وهذا يبعثُ الشَّك في نفوسهم حول إيمانهم. إنَّ الشَّخص الَّذي يخضعُ لهذا المنهج، مع شكه فيه، يختارُ التَّقية بدلاً من الجهر بأفكاره للعموم.

ت- المنهج القبلي *The a priori method*:

[26] إذا كانَ الإيمانُ الَّذي يُرسِّخه منهجُ السُّلطة يثيرُ الشُّكوك عند بعض النَّاس، فإنَّ ذلك راجعٌ إلى كونه قائما على الأهواء، أو على الحس المشترك أو بادئ الرَّأي. لهذا يدعو **پورس** إلى عدم إجبار النَّاس على اعتناق إيمانٍ محدَّد تعسفا، وتركِ الحُرية لهم ليختاروا إيمانهم بما ينسجمُ مع الأسباب الطَّبيعية. وفي هذا السِّياق يورد المنهج القبلي الميتافيزيقي. إنَّ الأنساق الفلسفية المثالية والميتافيزيقية موغلة في التَّجريد، ولا تعتمدُ على ما يوجدُ في الواقع، فهي تركِّز على كلِّ ما يتوافق مع العقل، وليس على ما يتوافق مع التَّجربة.

[27] يصفُ **پورس** المنهج القبلي بكونه أكثر عقلانية من المنهجين السَّابقين (منهج الإصرار، ومنهج السُّلطة)، لكنَّه يُقر في نفس الوقت بأنَّ فشله أوضح منهما، لأنَّه يجعل البحث مشابها لتطور الذوق، وما الذوق إلاَّ موضة أو طراز يتغيَّر من زمن لآخر. ولهذا، فإنَّ الفلاسفة الميتافيزيقيين ليس لهم اتفاقٌ راسخٌ فيما بينهم، فتاريخ الفلسفة تأرجح بين اتجاهين متطرفين: اتجاه مبالغٌ في المادية، واتجاه مبالغٌ في العقلانية على مر العصور. لقد وعدَ هذا المنهجُ بتخليص الآراء من العناصر العرضية والمُتقلبة، لكنْ بالرَّغم من أنَّه يُزيل تأثير بعض الظُّروف العرضية، فإنَّه يؤدي إلى تضخيم ظروف أخرى. لقد عقد **پورس** مقارنةً بين المنهج القبلي، ومنهج السُّلطة، ووجد أنَّ الأول لا يختلفُ عن الثَّاني من حيثُ الأساسُ.

ث- المنهج العلمي *The scientific method*:

[28] بناء على ما سبق، إذا كانت المناهج الثلاثة السَّابقة تطالها الشُّكوك، وإذا كانت تقوم من حيث الأساسِ على ما هو بشريٍّ، ولا تؤدي إلى ترسيخ الإيمان على نحو دائم، فإنَّه من أجل وضعِ حد لهذه الشُّكوك، فلا بد من العتور على منهج يُمكِّننا من تحديد إيمان ليس نابعا ممَّا هو بشري، وإنَّما يكون من مصدرٍ خارجٍ عن ذواتنا، ويكونُ غير قابلٍ للتغيير، أو بالأحرى يكون من مصدر ليس لتفكيرنا تأثير فيه. ولا يمكنُ بحالٍ من الأحوال أنْ يُشبه هذا المنهجُ ما يدعيه المُتصوفة، وأصحابُ الأحوال الذين يؤمنون بحقيقة خارجةٍ عن ذواتِهم، ومصدرُها آت من السَّماء (الله) حسب زعمهم، فهؤلاء لا يختلفون عن أصحاب منهج الإصرار الَّذي تحدثنا عنه سابقا. إنَّ ما يضمنُ الوثوق بالمنهج العلميِّ هو أنَ تكون الدَّيمومةُ الخارجيةُ مؤثرةً في أيِّ إنسان، وليس

مؤثرة في واحد منا دونَ غيره، وبذلك تكون النتيجة النِّهائية المترتبة عن هذا التأثير هي نفسها عند الجميع. وهذا هو منهج العلم، الَّذي ينطلقُ من الفرضية الآتية: هناك أشياءٌ (وقائع) في الواقعِ الماديِّ الخارجيِّ، لها خصائص مستقلة عن آرائنا على نحو تام، وتؤثر هذه الوقائع في حواسِّنا تبعا لقوانين منتظمة، وعلى الرَّغم من أنَّ أحاسيسنا مختلفة مثل علاقتنا بالأشياء، فإنَّه من خلال الاستعانة بقوانين الإدراك، يُمكننا التَّأكد بواسطة الاستدلال من كيفية وجود الأشياء على نحو واقعيٍّ وحقيقيٍّ، وكلُّ إنسانٍ، إذا كانت له تجربة كافية، ونظرَ بما يكفي فيها، فإنَّه سوف يصل إلى النَّتيجة الصَّادقة الوحيدة. تستندُ هذه الفرضية الَّتي طرحها **پورس** على مفهوم الوَاقع، وهو المفهوم الجديدُ الَّذي لم تهتم به المناهج السَّابقة. قد يطرح سؤال في هذا الصدد: كيف يمكن أنْ أعرف أنَّ هناك وقائع؟ فإذا كانت هذه الفرضية هي الدَّعامة الوحيدة لمنهجي في البحث، فهلْ هذا المنهجُ يجبُ أن يُستعمل لدعم فرضيتي؟

وقد حدَّد **پورس** أربع حُجج للإجابة عنه كالآتي: **الحُجة الأولى**، تتجلى في أنَّه إذا اعتبرنا البحث (الفحص) ليس دليلاً على وجود أشياء واقعية، فإنَّ هذا المنهج لا يقودُنا إلى نتيجة متناقضة، ولكنَّ المنهج والتَّصور اللذين يقومان عليه يظلان متناغمين ومتسقين دائما. ومن هنا، فلا تحومُ الشُّكوك حول المنهج من خلال مُمارسته، خلافا للمناهج الأخرى. **الحُجة الثَّانية**، تتجلى في أنَّه إذا كان الشُّعور الَّذي يؤدي إلى نشأة أيِّ منهج لترسيخ الإيمان هو عدمُ الرِّضا عن قضيتين متناقضتين، فإنَّ هذا المنهج يُسلم بوجود شيء تمثلُه القضية. وعليه، فلا أحدَ يُمكنه أنْ يشُك في وجود الوقائع، وإذا ما شك فيها، فإنَّ شكه ليس مصدره هو عدم الرِّضا. إنَّ الفرضية العلمية هي الَّتي يُسلم بها كلُّ عقل، ولا يستطيع الدَّافع الاجتماعي دفع النَّاس إلى الشَّك فيها. **الحجة الثَّالثة**، تتجلى في أنَّ كلَّ شخصٍ يستعملُ المنهج العلمي، ولا يمكنُ التوقف عن استعماله إلا في حال عدمِ معرفية كيفية تطبيقه. **الحُجة الرَّابعة**، تتجلى في أنَّ تجربة الشَّك لم تؤدّ إلى الشَّك فيه، وإنَّما الأمر بخلاف ذلك، فقد حقَّق المنهجُ العلميُّ أعظمَ الانتصارات في استقرار الرَّأي. وهذا يقدِّم تفسيرا كافيا لعدم الشَّك فيه، وعدم الشَّك في الفرضية الَّتي يفترضها. بعد وضع هذه الحُجج الَّتي تجعل المنهج العلمي والفرضية العلمية لا يمكنُ أنْ يطالَهما الشك، يقدِّم **پورس** تحدياً للمخالفين بقوله إنَّ كلَّ شخص سوَّلت له نفسه وضع المنهج العلمي موضعِ شكٍ، فليقدمه لنفكر فيه.

[29] بناءً على هذا، حدَّد **پورس** غرضَه من كتابة هذه المقالة، والمقالات الأخرى الَّتي تليها في كونها تهدف إلى وصفِ المنهجِ العلميِّ، وبيان ما يناقضُه من المناهج الأخرى في ترسيخ الإيمان.

ج- مقارنة المنهج العلمي بالمناهج الثلاثة الأخرى، وبيان مزايا كل واحد على حدة:

[30] إنَّ ما يُميِّز المنهج العلميَّ عن المناهج الثَّلاثة الأخرى، هو أنَّه المنهج الوحيد الكفيل بتمييز الطَّريق الصَّحيح عن الطَّريق الخطأ. فتبني منهج الإصرار، وعزل الرَّأي عن التأثيرات الخارجية، يرجعُ في ضرورتِه إلى المنهج نفسه، ومنهج السُّلطة يقوم في أساسه على ما تؤمن به الدولة، والمنهج القبلي يستمد قوته من الميول

إلى التفكير مع تخطيء الفلاسفة الميتافيزيقيين لبعضهم بعض. لكنَّ المنهج العلميَّ هو المنهجُ الوحيد الَّذي قضاياه تحتملُ الصِّدق والكذب، وهذه الحقيقةُ هي أساس الجانب العملي للمنطق.

[31] يشيرُ **پورس** إلى أنَّ المناهجَ الثَّلاثة الأولى لا ينبغي أنْ تُجرَّد من مزاياها، بل على العكس، فكلُّ واحد منها لهُ مزيةٌ خاصةٌ به تُميِّزه عن المنهج العلمي. إنَّ المنهجَ القبليَّ يتميَّز باستنتاجاتِه المُشجِّعة، ومنهجُ السُّلطة يتميَّز بكونه مُنظما للجماعات البشرية، ويساهمُ في توحيد الآراء، وإحلال السَّلام، ويسمحُ ببعض الاختلافات، ويعتبر الأخرى محظورةً ومُحرمة، وهذا يختلفُ باختلافِ البلدان، وباختلاف الأزمان. ومهما يكن، فإنَّ الإنسان داخلَ الدَّولة لا بدَّ له أنْ يتمسكَ بشيء محظورٍ، فكثير من النَّاس لم يجرؤوا في الماضي، ولنْ يجرؤوا في الحاضر على الجهرِ بأفكارهم برمتها علانيةً، ولهذا يطالُ الشَّك كل قضية تتعلق بضرورة أمنِ المجتمع. وهنا يشير **پورس** إلى أنَّ الاضطهادَ لا يكونُ مصدرُه من الخارج دائما، فقدْ يكون نابعاً من داخلِ الشَّخص نفسه لمَّا يشعرُ بالأسى الشَّديد حُيال قضايا مجبرٌ على الإيمان بها وهو كارهٌ لها. ولهذا يجدُ الإنسانُ صعوبة في تسليم آرائه للسُّلطة. أمَّا منهجُ الإصرار، فينظر إليه **پورس** بإعجابٍ نظراً لقُوته وبساطته واستقامته؛ لأنَّ النَّاس الذين يتبنونه يتميَّزون بالتَّشبثِ بقرارهم الشَّخصي المُستقل، ولا يضيعون الوقتَ في الخُضوع لقرارات غيرهم، وإنَّما يظلون مُتمسكين بقرارهم ومتشبثين به حتَّى النهاية، مهما كانتِ الموانع الَّتي تحولُ دونَ بقائِهم ثابتين على رأيهم.

[32] على الرَّغم من وجود مزايا تخصُ هذه المناهج الثلاثة ما يجعلُها تتميَّز عن المنهج العلمي، لكن، ومع ذلك، يرغبُ الإنسان في أنْ تتوافقَ آراؤُه مع الواقع، ولا توجدُ أسباب تفسِّرُ لم يجبُ أن تكون تلك المناهج تتطابق مع الواقع. إنَّ إحداثَ مثل هذا التَّغيير يكونُ من اختصاص المنهج العلميِّ وحده، وهذا ما يجعل المنهج العلمي يتفوَّقُ على كلِّ هذه المناهج. وبناءً على هذا، يجبُ على المرء أنْ يحدِّد اختيارَه لأحدها، واختياره يعتبرُ قراراً حاسماً في حياته، لأنَّ اتخاذ قرار من هذا النَّوع يستوجبُ الالتزام به. إنَّ الشَّخص الَّذي يعترفُ بوجود الحقيقة، الَّتي هي عكسُ الباطل، عليه أنْ يقودنا إلى الغاية الَّتي نتوخاها ولا نضل، وكلُّ شخصٍ ليست له الجرأة على معرفة الحقيقةِ، ويعملُ بكلِّ ما في وسعه ليتجنب معرفتَها، فهو في حالٍ نفسية مضْطربة وتستوجبُ الأسى والشَّفقة.

ح- التضحية من أجل اختيار المنهج العلمي:

[33] إنَّ اختيارَ المنهج العلميِّ اختيارٌ صعبٌ ومكلِّف، شأنُّه شأن اختيار الحقيقةِ، أو اختيار فضيلة، أو اختيار ما نعتز به، الَّذي يكلِّفنا غاليا. لذلك يستوجب التَّضحية وتلقي الضَّربات، ومعرفة صدِّها.

هكذا يتبيَّن أنَّ الاستدلال مهما تعدَّدت صورُه وأشكالُه، فإنَّ الاستدلالَ الصَّحيح، هو الاستدلال الَّذي يقودنا من مقدمات (وقائع) معلومة وصادقة إلى نتائج (وقائع مستخلصة) مجهولة وصادقة، وأنَّه إذا كان الشَّك يحفزنا ويدفعنا إلى البحث من أجل الوصول إلى الإيمان واستقرار الرَّأي، فإنَّ المناهج الثلاثة: منهج الإصرار،

ومنهج السلطة، والمنهج القبلي، رغم ما لها من مزايا، لا تقودنا إلى الإيمان الرَّاسخ، والشك يطالها جميعا. وهذا بخلافِ المنهج العلميِّ الَّذي يعتمد الاستدلال الصَّحيح، ويستند إلى الواقع التَّجريبي والموضوعي الخاضع للدَّيمومة الخارجية، التي لا تقبل التغيير، ولا تخضع لتقلبات الأمزجة والأهواء، وفي ظل الصُّعوبات الَّتي تعترض تبنيه، يستوجبُ من منتحله التَّضحية، ما دام هو المنهج الوحيد الَّذي حقَّق إنجازاتٍ وانتصاراتٍ كبرى في تاريخ البشرية.

استعاراتٌ وتمثيلاتٌ وتشبيهاتٌ في المقالة:

تضمنَّت هذه المقالة أساليب بيانية لم تخلُ من جمالٍ لغوي، وهذا يبيِّن مدى قوة الحجاج الَّذي يتمتَّع به أسلوب **پورس**، فعلى الرَّغم من أنَّه كان رجلَ علمٍ في الأصل، إلاَّ أنَّه كانَ رجلَ بيانٍ بامتياز، وقد تجاهلنا هذه الأساليب البيانية في التَّلخيص، وأفردنا لها عموداً خاصا، لنُبرز معانيها، فهي من حيث الأصلِ مُكملة للتَّلخيص ومُوضِّحة للنَّص، ويُمكننا عرضُها تِباعا كالآتي:

- **استعارة:** «كانَ منهجُه هو حملُ عقلِه إلى مُختبره»[26]، [6]: وردت هذه الاستعارة، أو المجاز العقلي في سياق حديث **پورس** عن العالم الفرنسي **لاڤوازيه** الَّذي لمْ يمتثل للشعار الَّذي كان سائدا في عصره، والمتعلق بالتِّلاوة المتكررة والصَّلاة، وكانَ عملُه استعمالُ العقلِ في المُختبر، والتَّعامل مع الأدوات والأشياء الواقعية، بدلاً من التَّلاعب بالألفاظ الَّتي تتلى، والأوهام الَّتي يتم الإيمان بها، لذلك قال **بيرس** على سبيل المجاز: إنَّ **لاڤوازيه** حملَ عقله إلى مُختبره، بمعنى استعمل عقله في الواقع.

- **مثال القرص النحاسي الدوار:** الَّذي تم وضعَه بين قطبي مغناطيس، ممَّا يجعله يستقرُ في وضعه، وما يحدثُ لهذا القرص من النُّحاس، يمكن أنْ يحدث لأيِّ قرص آخر من معدن النحاس، وقد يحدث لأي قرص من معدن آخر. وقد ضربَ **بورس** هذا المثال للدَّلالة على المبدأ الإرشادي، الَّذي ينص على أنَّ ما يصدقُ على هذا، يصدقُ على ذاك بالضرورة.[27] [10] يمكنُ أن نسمِّي هذا المبدأ الإرشادي بالعلاقات الثَّابتة بين الظَّواهر، والَّتي لا تعني شيئا سوى القوانين الطَّبيعية، فالتَّجربة الَّتي يتم الخلوص منها بأنَّ قطعةً من الحديد تمددت بالحرارة، تقتضي أنَّ كلَّ قطعة من الحديد ستتمدَّد بالحرارة، وهذا يقودنا إلى القانون العلمي الَّذي ينص على أن: «كل **س**، إذا كان **س** حديد وضع على النار، فإن **س** سيتمدد بالحرارة». إنَّ هذه الصِّيغة هي الأساس المنطقي للقانون العلمي.

26- Peirce, C. S., "The Fixation of Belief", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Vol. 1 (1867-1893), Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, p.111:«**…: his way was to carry his mind into his laboratory…** »

27- *Ibid*., p.112: « **Suppose, for example, that we observe that a rotating disk of copper quickly comes to rest when placed between the poles of a magnet, and we infer that this will happen with every disk of copper.** »

- **تشبيه العقل الضَّال بالسفينة التي ليس على ظهرها قبطان:**[28] [11] هنا يبرز **پورس** أزمةَ الميتافيزيقا عبر التَّاريخ، والهروب بالعقل خارج الواقع، وهذا الهروب الَّذي لا يسترشد بأيِّ مبدأ توجيهي يعتبر ضلالاً وتيها، فهو أشبهُ بالسَّفينة الضَّالة في أعماق البحار حيثُ اللُّجج المُتلاطمة، لكنْ لا يُوجد على السَّفينة من يفقَه قوانينَ المِلاحة، فالسَّفينة الضَّالة هنا كناية عن العقل الميتافيزيقي التَّائه في المجهولات، وغيابُ الملاَّح على ظهرها كنايةٌ عن غيابِ مبدأ إرشادي يقودُ العقلَ إلى النجاة. إنَّ الغاية من هذا التَّمثيل (التَّشبيه المركب، والمنتزع من صُوَّر عدة) هو التأكيد على ضرورة استرشاد العقل بالمبادئ التَّوجيهية من جهة، والاعتمادِ على الواقع من جهة ثانية. ويمكنُ صياغة هذا التَّمثيل وفق استدلالٍ تناسبي بما يفيد السَّلب كما يلي: العقل بدون مبدأ إرشادي، كالسفينة بدون قبطان. ويمكن عرضُه بصيغة الإيجابِ كالآتي: (الرَّمز «::» يدل على التناسب)

المبدأ الإرشادي بالنسبة إلى العقل :: القبطان بالنسبة إلى السفينة

- **مثالُ طاعة الحشَّاشين لشيخ الجبل:**[29] [14] استشهدَ **پورس** بهذا المثال التَّاريخي، ليبيِّن مدى قوة الإيمان في توجيه الأفعال، وقيادة الرَّغبات، فكما هو معلوم، لقد كان للحسن الصَّباح، ذلك الشِّيعي الباطني، (الَّذي يسمى شيخ الجبل؛ لأنَّه تحصَّن بقلعة فوق الجبل في بلاد فارس مع أتباعه) أتباع يطيعون أوامره. فبما أنَّهم يؤمنون، ويصدقون ما يقوله، فهم يطبِّقون أوامره بحذافيرها، ويتوقون للفوز بالجنَّة كما يعدهم. وهذا يبيِّن المدى الَّذي قد تبلغُه درجة الإيمانِ الرَّاسخ؛ إذ يدفعُ النَّاس إلى الفعل (التضحية بأرواحهم) من جهة، ويوجِّههم نحو رغباتهم (التوق إلى الجنة) من جهة ثانية.

- **مثال الصَّحيفة:**[30] [20] روى **پورس** حادثة شخصية تتعلق بدعوته من قبل زملائه بعدم قراءة صحيفة اقتصادية تدعو إلى نظام الحماية، وتنتقد نظام التِّجارة الحرة، وقد ألح أصدقاؤه بأنْ لا يقرأ هذه الصَّحيفة، لأنَّها يمكن أنْ تغيِّر إيمانه بنظام التَّجارة الحُرة، والغاية من هذا المثال الحي، هي إبراز أنَّ النَّاس يكرهون كلَّ ما يمكن أنْ يغيِّر أراءهم، ويحرصون كلَّ الحرص على التَّمسك بإيمانهم دون استبدالِه بإيمان آخر، بل ويتعدى الأمر ذلك، ليصبحوا أوصياء على غيرهم في التَّشبث بالإيمان. وهذا هو منهج الإصرار، كما سبق توضيحه.

28- *Ibid*., p.13: « **…, and all history shows that the most masculine intellect will ofttimes lose his orientation and waste his efforts in directions which bring him no nearer to his goal, or even carry him entirely astray. He is like a ship in the open sea, with no one on board who understands the rules of navigation**. »

29- *Ibid*., p.114: « **The Assassins, or followers of the Old Man of the Mountain, used to rush into death at his least command, because they believed that obedience to him would insure everlasting felicity. Had they doubted this, they would not have acted as they did.** »

30- *Ibid*., p.116: « **I remember once being entreated not to read a certain newspaper lest it might change my opinion upon free-trade." Lest I might be entrapped by its fallacies and misstatements," was the form of expression. "You are not," my friend said, "a special student of political economy. You might, therefore, easily be deceived by fallacious arguments upon the subject. You might, then, if you read this paper, be led to believe in protection. But you admit that free-trade is the true doctrine; and you do not wish to believe what is not true." I have often known this system to be deliberately adopted.** »

- **مثالُ الإيمان بالشيء، وعدم الإيمان بشيء آخر من أجل بلوغ السعادة عند المتدينين:**[31] [20] وظَّف **پورس** مثالاً للإيمانِ بالمعاد السَّعيد، وهو الَّذي نجدُه عند كلِّ المُتدينين من أهلِ الأديان، ومفادُه أنَّ الإنسان الَّذي يُمارس شعائر وطقوسَ مُحددة مع الإيمان، سيذهب بعد الموت إلى الجنة، وغالبا ما يفضِّل أمثال هؤلاء إيمانا، ويتشبثون به، لأنَّه هو الخلاص بالنِّسبة إليهم، ويبتعدون أشدَ الابتعاد عن إيمان آخر لأنَّه يؤدي إلى الشَّقاء (أو يُدخل إلى النَّار). والسِّياق الَّذي ورد فيه هذا المثال هو الحديث عن منهج الإصرار، إذ يتمسكُ الشَّخص بإيمان على نحو قطعي، ولا يبدِّله بإيمان آخر، كما أنَّ **پورس** يريد أنْ يوضِّح لنا أنَّ كلَّ المتدينين المتشبثين بإيمانهم، يندرجون ضمن منهج الإصرار.

- **مثالُ النَّعامة:**[32] [20] ورد هذا المثال في سياق الحديث عن منهج الإصرار، حيث يبيِّن **پورس** الحال المتناقضة واللاعقلانية للشخص الَّذي ينتحل هذا المنهج بواسطة مثال النَّعامة الَّتي، مع اقتراب الخطر، تدفنُ رأسها في الرِّمال لتُمنِّي نفسَها بأنَّها في حال آمنة، فهي تُخفي الخطر، وتعلنُ أنَّ لا وجود لخطر، وتترقبُ اقترابَ الخطر رافعةً رأسَها من حين لآخر. فإذا كانت آمنة ولا وجود لخطر وشيك، فلم ترفع رأسها؟ وهذا المثال يبيِّن مدى ضعف منهج الإصرار، الَّذي يمني صاحبه نفسه بعدم تغيير إيمانه، مع التَّشكيك في إيمانه، وهي حالٌ مضْطربة ولا عقلانية.

- **اختيار المنهج الصحيح كاختيار العروس المحبوبة**[33]، [33] يمكن الإشارة إلى أن المقالة الفرنسية لم تتضمن هذه الفقرة الأخيرة التي تتضمن هذا التمثيل. وهو من أجمل التَّمثيلات فيها، ومفادُه أنَّ اختيار المنهج العلميِّ ليس اختيارا موضوعيا وعلميا فحسب، وإنَّما هو اختيار بُطولي وملحمي كذلك، يشبهُ اختيار الإنسانِ لعرُوسه من بين النِّساء. فالعروس هنا كناية عن المنهج العلميِّ، والنِّساء الأخريات كناية عن المناهج الأخرى. فإذا اختار الشَّخصُ محبوبَته من بين النِّساء، فهذا لا يعني أنَّه يسيء معاملة النِّساء الأخريات، بلْ يمكنه أنْ يكرمهن، وبتكريمه لهن، يكرم محبوبتَه وعروسَه، ثم إنَّه لمَّا اختار هذه المحبوبة بنفسه من بينهن، فهو مستعدٌ للتَّضحية من أجلها، ومستعد لتلقي الضَّربات، ومستعدٌ لصدِّها. وهذا كلُّه يبيِّن أنَّ اختيار المنهج العلمي لا يسلمُ من التَّضحية والكُلفة الغالية. لأنَّ الإيمانَ بالمنهج العلمي من شأنه أنْ يضع الشَّخص عرضة للتهديد من

31- *Ibid*., p.116: « **Thus, if it be true that death is annihilation, then the man who believes that he will certainly go straight to heaven when he dies, provided he have fulfilled certain simple observances in this life, has a cheap pleasure which will not be followed by the least disappointment**. »

32- *Ibid*., p.116: « **“ When an ostrich buries its head in the sand as danger approaches, it very likely takes the happiest course. It hides the danger, and then calmly says there is no danger; and, if it feels perfectly sure there is none, why should it raise its head to see? »**

33- *Ibid*., p.123: « **The genius of a man’s logical method should be loved and reverenced as his bride, whom he has chosen from all the world. He need not condemn the others; on the contrary, he may honor them deeply, and in doing so he only honors her the more. But she is the one that he has chosen, and he knows that he was right in making that choice. And having made it, he will work and fight for her, and will not complain that there are blows to take, hoping that there may be as many and as hard to give, and will strive to be the worthy knight and champion of her from the blaze of whose splendors he draws his inspiration and his courage. »**

قبل المُتدينين، أو من قبل الوثوقيين، أو من قبل أهل السُّلطة، سلطة النَّص، وسلطة الرَّأي، وكم دفعَ العلماءُ من ثمن جراءَ دِفاعهم عن المنهج العلمي، من **جيوردانو برونو**، ومرور **بغاليليو غاليلي**، ووصولا إلى **تشارلز داروين** الَّذي يعد مثالا حيا على التَّضحية، ولا ننسى أنَّ **پورس** كان داروينيا حتَّى النُّخاع.

شذرات حكمية واردة في المقالة تصلح لتكون شواهد:

على غرار الفلاسفة الكبار، نجدُ هذه المقالة الموجزة مليئة بالشَّذرات التي تعبِّر عن أفكار بما يشبه الأقوال الحكمية، وتتمحور جميعُها حول بيان أهمية المنطق الَّذي يعتمد على العقل والواقع، في كونه مرشدا للعقل، ودور الشَّك من أجل الوصول إلى الإيمان، وفي نقد منهج الإصرار، ومنهج السُّلطة، والمنهج القبلي الميتافيزيقي، وفي أهمية المنهج العلمي. وقد تتبعنا بعضها، ونعرضها كما يلي:

- في أهمية المنطق العلمي، يقول: «كلَّ إنجازٍ علميٍّ عظيم بما يكفي لتذَكُّرِه جيدًا عبرَ أجيالٍ، يقدمُ نموذجاً عنِ الحالِ المعيبةِ لفنِ التَّعقُل في الوقتِ الذي كُتبَ فيه؛ وكلُّ خطوةٍ أساسيةٍ في العلمِ كانتْ درساً في المنطقِ.» [6]؛[34]

- في ربط صحة الاستدلال بالواقع، يقول: «إنَّ مسألةَ الصِّحةِ على نحو خالصٍ هي مسألةُ واقعةٍ وليستْ مسألةَ تفكيرٍ.» [8]؛[35]

- في دور التجربة، يقول: «حيثما لا يتحقَّقُ الأمل بوجود أي تجربة، فمن المرجح أن يكون تفاؤلنا مبالغا فيه.» [9]؛[36]

- في دور المبادئ المنطقية الإرشادية للعقل، يقول: «كلُّ التاريخ يظهر أنَّ العقل الأكثر شهامة سوف يفقدُ في كثير من الأحيان توجهَه وتضيعُ جهودُه في اتجاهات لا تقرِّبه من هدفه، أو قد تضلله على نحو تام. إنَّه مثل سفينة في عرض البحر، ليس على متنها من يفهم قواعد الملاحة.» [11]؛[37]

- «ليس للشك تأثيرٌ أقل فعالية من الإيمان، بلْ إنَّه يحفزنا على البحث الاستكشافي حتَّى يتم تدميره.» [16]؛[38]

34- *Ibid*., p.111: « **In the same way, every work of science great enough to be well remembered for a few generations affords some exemplification of the defective state of the art of reasoning of the time when it was written; and each chief step in science has been a lesson in logic.** »

35- *Ibid*., pp.111-112: « **Thus, the question of validity is purely one of fact and not of thinking.** »

36- *Ibid*., p.112: « **Where hope is unchecked by any experience, it is likely that our optimism is extravagant.** »

37- *Ibid*., p.: « **…, and all history shows that the most masculine intellect will ofttimes lose his orientation and waste his efforts in directions which bring him no nearer to his goal, or even carry him entirely astray.** »

38- *Ibid*., p.113: « **Doubt has not the least such active effect, but stimulates us to inquiry until it is destroyed.** »

- في أهمية الشك، يقول: «إنَّ إثارة الشَّك هي الدَّافعُ المباشرُ الوحيد للكفاح من أجل تحقيق الإيمان.» [18]؛[39]

- في أهمية الشك، يقول كذلك: «بالشَّك يبدأ الكفاحُ، وبزوالِ الشَّك ينتهي الكفاح.» [18]؛[40]

- في بيان هدف البحث الاستكشافي، يقول: «إنَّ الهدفَ الوحيد للبحث الاستكشافي هو استقرار الرَّأي.» [18]؛[41]

- في دور ما يؤثر على العقل، يقول: «كلُّ شيءٍ لا يؤثر في العقل لا يُمكن أنْ يكون دافعًا للكفاح العقلي.» [18]؛[42]

- في الغاية المنشودة للإنسان، يقول: «إن أقصى ما يمكن الحفاظ عليه هو أننا نسعى إلى الإيمان الذي نعتقد أنه صحيح.» [18]؛[43]

- في العناد والإصرار على التشبث بالرأي والحيلولة دون تغييره بكل الوسائل، يقول: «إن الكراهية الفطرية للحالة الذهنية المترددة، والتي يتم تضخيمها لتصل إلى خوف غامض من الشك، تجعل الناس يتشبثون على نحو متشنج بالآراء التي يتخذونها بالفعل. ويشعر الإنسان أنه إذا تمسك بإيمانه دون تردد، فإنه سيكون راضيًا على وجه التمام.» [20]؛[44]

- في الحال اللاعقلانية والمترددة، يقول: «لما تدفن النعامة رأسها في الرمال مع اقتراب الخطر، فمن المرجح أنها تسلك المسار الأكثر سعادة. تختفي عن الخطر، ثم تقول بهدوء إنه لا يوجد خطر؛ وإذا كانت متأكدة تمامًا من عدم وجود شيء خطر، فلم ترفع رأسها لترى ما إذا كان هناك خطر؟» [20]؛[45]

- في مدى الإصرار عند الوثوقيين، يقول: «قد يعيش الإنسان حياته، وهو يبتعد بشكل منهجي عن كل ما قد يسبب تغييرًا في آرائه.» [20]؛[46]

39- *Ibid*., p.114: « **The irritation of doubt is the only immediate motive for the struggle to attain belief.** »

40- *Ibid*., p.114: « **With the doubt, therefore, the struggle begins, and with the cessation of doubt it ends**. »

41- *Ibid*., p.115: « **Hence, the sole object of inquiry is the settlement of opinion.** »

42- *Ibid*., p.115: « **…, for nothing which does not affect the mind can be the motive for mental effort.** »

43- *Ibid*., p.115: « **The most that can be maintained is, that we seek for a belief that we shall think to be true.** »

44- *Ibid*., p.116: « **Still oftener, the instinctive dislike of an undecided state of mind, exaggerated into a vague dread of doubt, makes men cling spasmodically to the views they already take. The man feels that, if he only holds to his belief without wavering, it will be entirely satisfactory.** »

45- *Ibid*., p.116: « **“ When an ostrich buries its head in the sand as danger approaches, it very likely takes the happiest course. It hides the danger, and then calmly says there is no danger; and, if it feels perfectly sure there is none, why should it raise its head to see?** »

46- *Ibid*., p.116: « **A man may go through life, systematically keeping out of view all that might cause a change in his opinions, and if he only succeeds — basing his method, as he does, on two fundamental psychological laws — I do not see what can be said against his doing so.** »

- في بشاعة وفظاعة منهج السلطة، يقول: «إن القسوة تصاحب هذا النظام [نظام السلطة] على الدوام؛ ولما يتم تنفيذ هذه القسوة باستمرار، فإنها تصبح فظائع من أبشع الأنواع في نظر أي إنسان عاقل.» [23]؛[47]

- في التهكم على الخاضعين فكريا لمنهج السلطة، يقول: «إذا كان دافعهم الأسمى [الخاضعون لمنهج السلطة] هو أن يكونوا عبيدًا على المستوى الفكري، فيجب عليهم أن يظلوا عبيدًا.» [24]؛[48]

- في مدى اختلاف الفلاسفة، يقول: «لم يتوصل الميتافيزيقيون أبدًا إلى أي اتفاق ثابت، لكن بندول الفلسفة تأرجح ذهابًا وإيابًا بين فلسفة أكثر مادية وفلسفة أكثر عقلانية، منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.» [27]؛[49]

- في كيفية وضع حد للشكوك، يقول: «من أجل وضع حد لشكوكنا، فمن الضروري إيجاد منهج يمكن من خلاله تحديد إيماننا بشيء ليس ببشري، وإنما من خلال شيء خارج عنا وغير قابل للتغيير - من خلال شيء ليس لتفكيرنا أي تأثير فيه.» [28]؛[50]

- في إثبات عدم الشك في الوقائع، يقول: «لا يمكن لأحد أن يشك حقًا في وجود الوقائع، لأنه إذا فعل ذلك، فلن يكون الشك مصدرًا لعدم الرضا. ولذلك، فإن الفرضية هي التي يعترف بها كل عقل، حتى لا يسبب الدافع الاجتماعي للناس الشك فيها.» [ب، 28]؛[51]

- في أهمية المنهج العلمي، وبيان سبب عدم استعماله، يقول: «إن كل شخص يستعمل المنهج العلمي في كثير من الأشياء، ولا يتوقف عن استعماله إلا في الوقت لا يعرف كيفية تطبيقه.» [ت، 28]؛[52]

47- *Ibid*., p.117: « **Cruelties always accompany this system; and when it is consistently carried out, they become atrocities of the most horrible kind in the eyes of any rational man.** »

48- *Ibid*., p.118: « **If it is their highest impulse to be intellectual slaves, then slaves they ought to remain.** »

49- *Ibid*., p.119: « **…, and accordingly metaphysicians have never come to any fixed agreement, but the pendulum has swung backward and forward between a more material and a more spiritual philosophy, from the earliest times to the latest.** »

50- *Ibid*., p.120: « **To satisfy our doubts, therefore, it is necessary that a method should be found by which our beliefs may be determined by nothing human, but by some external permanency — by something upon which our thinking has no effect.** »

51- *Ibid*., p.120: « **Nobody, therefore, can really doubt that there are Reals, for, if he did, doubt would not be a source of dissatisfaction. The hypothesis, therefore, is one which every mind admits. So that the social impulse does not cause men to doubt it.** »

52- *Ibid*., p120: « **Everybody uses the scientific method about a great many things, and only ceases to use it when he does not know how to apply it.** »

- في بيان تمسك المفكرين على مر التاريخ بالتقية، وعدم الجهر بأفكارهم في ظل الخوف من منهج السلطة: «إن أعظم أهل الفكر من ذوي النيات الحسنة من البشرية لم يجرؤوا أبدًا، ولن يجرؤوا الآن، على الجهر بفكرهم برمته؛ وهكذا يلقي ظلالا من الشك ظاهريًا على كل قضية تعتبر ضرورية لأمن المجتمع.» [31]؛[53]

- في بيان أن الاضطهاد، ليس مصدره من الخارج دائما، وإنما يكون من داخل الفرد كذلك، يقول: «من الغريب أن الاضطهاد لا يأتي كله من الخارج؛ وإنما الإنسان يعذب نفسه، وفي كثير من الأحيان يشعر بالأسى الشديد لما يجد نفسه مؤمنًا بالافتراضات التي نشأ على النظر إليها بنفور.» [31]؛[54]

- في بيان أهمية المنهج العلمي بالمقارنة مع المناهج الثلاثة، يقول: «لا يوجد سبب يجعل تأثيرات تلك المناهج الثلاثة الأولى [منهج الإصرار، ومنهج السلطة، والمنهج القبلي] تتطابق مع الحقيقة. إن إحداث هذا التأثير هو من اختصاص المنهج العلمي.» [32]؛[55]

- في بيان نتيجة تجاهل الحقيقة وتجنبها، يقول: «من لا يجرؤ على معرفة الحقيقة ويسعى إلى تجنبها، فهو بالفعل في حالة ذهنية يؤسف لها.» [32]؛[56]

- في تشبيه التضحية باختيار المنهج العلمي، يقول: «إنَّ عبقرية المنهج المنطقي عند الإنسان يجب أن تكون محبوبة ومبَّجلة كعروسه التي اختارها من بين كلِّ النِّساء؛ إذ لا يجبُ عليه أنْ يحتقر الأخريات؛ فعلى العكس من ذلك، قدْ يُكرِّمُهُنَّ بشدةٍ، وبذلك يُكرِّمُها أكثر، لكنَّه هو الَّذي اختارَها، وهو يعلمُ أنَّه كانَ على حق في اتخاذِ هذا الاختيار. وبعد أنْ يفعل ذلك، سيعملُ ويقاتلُ من أجلها، ولنْ يشكو من أن هناك ضربات يجب تلقيها، على أمل أن تكون الضربات كثيرة ويصعب صدها، وسيسعى جاهداً ليكون الفارس المستحق والبطل لها الذي يستمد إلهامه وشجاعته من لهيب بهائها.» [33].[57]

53-*Ibid*., p.122: « **Thus, the greatest intellectual benefactors of mankind have never dared, and dare not now, to utter the whole of their thought; and thus a shade of prima facie doubt is cast upon every proposition which is considered essential to the security of society.** »

54- *Ibid*., p.122: « **Singularly enough, the persecution does not all come from without; but a man torments himself and is oftentimes most distressed at finding himself believing propositions which he has been brought up to regard with aversion.** »

55- *Ibid*., p122: « **…, and that there is no reason why the results of those three first methods should do so. To bring about this effect is the prerogative of the method of science.** »

56- *Ibid*., p.123: « **…, dares not know the truth and seeks to avoid it, is in a sorry state of mind indeed.** »

57- *Ibid*., p.123: « **The genius of a man's logical method should be loved and reverenced as his bride, whom he has chosen from all the world. He need not condemn the others; on the contrary, he may honor them deeply, and in doing so he only honors her the more. But she is the one that he has chosen, and he knows that he was right in making that choice. And having made it, he will work and fight for her, and will not complain that there are blows to take, hoping that there may be as many and as hard to give, and will strive to be the worthy knight and champion of her from the blaze of whose splendors he draws his inspiration and his courage.** »

نصُ المقالةِ المُترجم:

[109][1] يهتمُ قلةٌ منَ الأشخاصِ بدراسةِ المنطقِ، لأنَّ كلَّ شخصٍ يتصوَّرُ نفسهُ ماهراً بما فيهِ الكفايةِ في فَنِ التَّعقُلِ على نحوٍ فعليٍّ. لكنَّني أرَى أنَّ هذا الرِّضا مَقْصور على استنتاجٍ خاصٍ بأحدِهم، ولا يَطالُ الآخرينَ.

[110][2] إنَّنا نسعى إلى الامتلاكِ التَّام لقُدرتنا على استخلاصِ الاستدلالاتِ، وهو مُنتهى كلِّ ملَكاتنا؛ لأنَّه ليسَ هبةً طبيعيةً بقدرِ ما هُو صناعة بعيدة المنالِ وصعبة. إنَّ تاريخَ مُمارستِه من شأنِه أنْ يجعَلَه موضوعًا رئيساً لمؤلفٍ مخصوصٍ. لقدْ جعلَ المَدرسيُّون المنطقَ في القرون الوسطى أولَ دروسِ الطَّالب بعد النَّحو، متبعين في ذلكَ الرُّومان؛ وذلك لأنَّه سهلٌ للغاية. لذلكَ كانَ المنطقُ كما فَهموهُ. وكانَ مبدأُه الأساسُ، بالنِّسبة إليهم، هو أنَّ المعرفة كلَّها إمَّا تقومُ على النَّصِ أو تقومُ على العقلِ؛ لكنَّ كلَّ ما يستنبطُه العقلُ يعتمدُ في النِّهايةِ على مقدمةٍ مُشتقةٍ من النَّصِ. وبناءً على ذلكَ، فبمُجرد أنْ يصبحَ الطَّالبُ ماهراً في عمليةِ القياسِ، فإنَّ مجموعَ آلياته العقليةِ تكونُ تامَّةً.

[3] بالنِّسبةِ إلى **روجر بيكون**، ذلك العقلُ المُميَّز الَّذي كانَ رجلَ علمٍ على وجهِ التَّقريبِ في منتصفِ القرنِ الثالثِ عشر، لمْ يبدُ لهُ التَّصورُ المدرسيُّ للاستدلالِ سوى عائقًا أمامَ الحقيقةِ. لقد رأى أنَّ التَّجربةَ وحدَها هي الَّتي تعلمُ كلَّ شيءٍ – وهي قضيةٌ تبدو لنا يسيرةَ الفهمِ، لأنَّها تصوُّرٌ متميِّزٌ للتجربةِ قد انتقلَ إلينا منَ الأجيالِ السَّابقةِ؛ والَّذي بدا لهُ واضحا على وجهٍ تام، لأنَّ صعوباته لمْ تنكشفْ بعد. لقدْ كانَ يظنُ أنَّ التَّجربةَ الأفضلَ من بينِ جميعِ الأنواعِ الأخرى هي **النُّور الدَّاخلي**، الَّذي يعلِّمُ أشياءَ كثيرة عنِ الطَّبيعة والَّتي لاَ يُمكنُ للحواسِ الخارجيةِ اكتشافَها أبدًا، وكأن الأمر يتعلق بتحويل المادة إلى خبز.[58]

[4] وبعدَ أربعةِ قرونٍ، قدَّمَ **فرنسيس بيكون** ذائعُ الصِّيتِ، في الكتابِ الأولِ من مُؤلفه» الأورغانون الجديد»، تصوُّرَه الواضحِ عن التَّجربةِ باعتبارِها شيئًا يجبُ أنْ يكونَ منفتحاً على التَّحقُقِ وعلى إعادةِ الفَحْصِ. ولكنْ، على الرَّغمِ من تفوُّقِ تصوُّر **اللورد بيكون** على التَّصوراتِ السَّابقةِ، فإنَّ القارئَ الحديثَ الَّذي لا تُرْهبُه بلاغتُه يُذهَلُ في البدايةِ بعدمِ كفايةِ وجهةِ نظرِه للإجراءِ العلميِّ. إنَّه لا يتعيَّن علينا سوى إجراءَ بعضِ التَّجاربِ البسيطةِ، ووَضْعِ خُلاصاتٍ للنتائجِ في صُوَرٍ فارغةٍ مُحدَّدةٍ، ومُراجَعَتِها وفقًا للقاعدةِ، والتَّحقُّقِ منْ كلِّ ما تمَ تفْنيدُهُ، ووَضعِ البدائل، وهكذا في غضونِ سنواتٍ قليلةٍ سيُصبحُ العلمُ الفيزيائيُّ منتهياً – كما قال **هارڤي**[59]، رجل العلم الحقيقي: يا لها منْ فكرةٍ! والذي» كتبَ عنِ العلمِ بما لاَ يختلفُ عن اللُّورد المُستشار **بيكون**».

58- روجر بيكون، العمل الأعظم، ترجمة **ر. ب. بيرك** (فيلاديلفيا 1928) ص.6

59- في المخطوط رقم 334، قام **پورس** بتوسيع هذه الجملة بإضافة العبارة الآتية: «كما قال **هارڤي**، رجل العلم الحقيقي». انظر تعليق **وليام هارڤي** على **جون أوبري** في كتاب «الحياة الأخيرة المختصرة» (أوكسفورد 1898) الجزء الأول، ص. 299

[5] لقدْ كانَ لدى العلماءِ الأوائلِ، **كوبيرنيكوس**، و**تايكو براهي**، و**كبلر**، و**جاليليو**، و**هارڤي**، و**جيلبرت**، [60] مناهجَ أشبهَ بمناهج إخوانِهم في العصرِ الحديث. لقدْ تعهَّد **كيبلر** برسمِ مُنحنى عبْرَ مواضع المريخ؛ [61] وبيَّنَ الأوقاتِ الَّتي يَستغرقُها الكوكبُ بوصفِ الأجزاءِ المُختلفةِ من ذلكَ المُنحنى؛ ولكنْ رُبما كانتْ أعظمُ خدمةٍ قدَّمَها للعلمِ هي التأثيرُ في أذهانِ النَّاسِ بأنَّ هذا هُو الشَّيءُ الَّذي يجبُ القيامُ به إذا كانوا يرْغَبونَ في تطويرِ علمِ الفلكِ؛ وأنَّه لمْ يكنْ عليهم أنْ يكتفوا بالبحثِ عمَّا إذا كانَ أحدُ أنظمةِ أفلاكِ التَّدويرِ أفضل من الآخرِ، وإنَّما كانَ عليهم أنْ يعتمدوا على الأشكالِ ويكتشفوا ما هُو المُنحنى المطلوبِ في الواقعِ. لقدْ أنجزَ **كبلر** هذا بطاقتِه وشجاعتِه الَّتي لا تُضاهى، ومتخبطاً بطريقةٍ لا يمكنُ تصوُّرها (هذا بالنسبة لنا)، [62] من فرضيةٍ غير عقلانيةٍ إلى أخرى، **[111]** وحتى بعد المُحاولةِ الثانية والعشرين منها، فإنَّه سقطَ، بمجرد استنفادِ إبداعِه، في المَدار الَّذي كانَ منَ المُمكن أنْ يُجرِّبَه عقلٌ مجهزٌ جيدًا بأسلحةِ المنطقِ الحديثِ منذُ البدايةِ على وجهِ التَّقريبِ.

[6] وبنَفْسِ الطَّريقةِ، فإنَّ كلَّ إنجازٍ علميٍّ عظيمٍ بما يكفي لتذَكُّرِه جيدًا عبرَ أجيالٍ يقدمُ نموذجاً عنِ الحالِ المعيبةِ لفنِ التَّعقُّلِ في الوقتِ الذي كُتبَ فيه؛ وكلُّ خطوةٍ أساسيةٍ في العلمِ كانتْ درساً في المنطقِ.[63] لقدْ كانَ الأمرُ كذلك لمَّا بدأ **لاڤوازيه** ومعاصرُوه دراسةَ الكيمياءِ. لقدْ كانَ المثلُ السَّائرُ الكيميائيُّ القديمُ يقولُ: «**اقرأْ، واقرأْ، واقرأْ، واعملْ، وصَلِّ، واقرأْ مِنْ جديد**».[64] لمْ يكنْ منهجُ **لاڤوازيه** هو القراءة والصَّلاة، وإنَّما كانَ منهجُه هو الحلمُ بأنَّ عمليةً كيميائيةً طويلةٌ ومعقدةٌ سيكونُ لها تأثيرٌ محدَّدٌ، وتطبيقُها يكونُ بصبرٍ مُمِلٍ، وبعدَ فشلِها الحتميِّ، والحُلم بأنَّها مع بعضِ التَّعديلِ ستكونُ لهَا نتيجةٌ أخرى، وقد انتهى بنشرِ الحُلمِ الأخيرِ كحقيقةٍ: لقد كانَت طريقتُه هي حملُ عقلِه إلى مختَبره، وعلى نحو حرفي أنْ يصْنعَ من أدواتِه للتقطيرِ وأوعيته آلياتٍ للفكرِ[65]، مقدماً تصورًا جديدًا للتعقلِ كشيءٍ يجبُ القيامُ به بعيونٍ مفتوحةٍ، ومتعاملاً مع الأشياءِ الواقعيةِ بدلاً من التَّعاملِ مع الألفاظِ والأوهامِ.

[7] إنَّ الجدلَ الدَّاروينيَّ هو، إلى حدٍ كبيرٍ، مسألةُ منطقٍ. لقدِ اقترحَ السَّيد **داروين** تطبيقَ المنهجِ الإحصائيِّ على علمِ الأحياءِ. وقدْ تمَ القيامُ بالشَّيءِ نفسِه في فرعٍ مختلفٍ تمامًا من العلوم، وهو نظريةُ الغازاتِ.[66] فعلى الرّغم من عدمِ قدرتِهم على القولِ بأنَّ حركاتِ أيِّ جُزيءٍ مُحدَّدٍ من الغازِ وفقًا لفرضيةٍ مُحدَّدةٍ فيما يتعلقُ ببنيةِ هذهِ الفئةِ منَ الأجسامِ، إلاَّ أنَّ **كلاوسيوس** و**ماكسويل** كانا قادريْن على القيامِ بذلكَ، [67] وذلكَ عنْ

60- في المخطوط 334، أضاف **پورس** اسم «**هارڤي**» إلى قائمة العلماء.

61- في المخطوط 334، قام **پورس** بتغيير لفظ «المريخ» بعبارة «المريخ، وبيَّنَ الأوقاتِ الَّتي يَستغرقُها الكوكبُ بوصفِ الأجزاءِ المُختلفةِ من ذلكَ المُنحنى؛ ولكنْ رُبما»، وحذف الحاشية السّفلى. والحاشية السفلى كالآتي: «ليس الأمر كذلك على وجه التمام، وإنَّما بقدر ما يُمكن قوله بألفاظ قليلة.».

62- في المخطوط 334، حذف **پورس** عبارة «في...نحن».

63- في المخطوط 334، قام **پورس** بتغيير عبارة «وكل» بعبارة «مكتوب. كل».

64- إنَّ عبارة «اقرأ، واقرأ، واقرأ، واعمل، واقرأ من جديد» شعور يتم التعبير عنه على نحو متكرر في النصوص الخيميائية القديمة.

65- في المخطوط 334، أضاف **پورس** لفظ «حقيقي» قبل لفظ «نسبي».

66- في المخطوط 334، أضاف **پورس** عبارة «لكنه كان معجبا على نحو خاص بكتاب **مالتيوس** حول السكان».

67- في المخطوط 334، غيَّر **پورس** عبارة «كانا قادرين بعد» بعبارة «لم يكن كذلك بعد، قبل ثمان سنوات من نشر عمل داروين الخالد».

طريقِ تطبيقِ نظريةِ الاحتمالاتِ، من أجلِ التَّنبؤ بأنَّه على المَدى الطَّويلِ سوفَ تكتسبُ نسبة كذا وكذا من الجُزيئات في ظل ظروف معطاة كذا وكذا من السُّرعات؛ وأنَّه سيحدثُ في كلِّ ثانية كذا وكذا عدَدٌ نسبيٌّ من الاصطدامات، [68] وما إلى ذلك؛ ومن هذه القَضايا تمَكنا من استنباطِ خصائص مُحدَّدة للغازات، وعلى الخصوص فيما يتعلق بعلاقاتها الحراريةِ. وعلى غرارِ ذلك، فإنَّ **داروين**، على الرَّغم من أنَّه في الوقت الَّذي كانَ غيرُ قادر فيه على تحديدِ عمليةِ التَّنوعِ والانتقاءِ الطَّبيعي في أيِّ حالةٍ فرديةٍ، فإنَّه يُبرهِنُ على أنَّه على المدى الطَّويل سوفَ يقُومون، أو سيعْمَلون، على تكيِّيف الحيوانات مع ظُروفها. وسواءٌ كانت الأنواعُ الحيوانيةُ الموجودةُ نتيجةً لهذا الفعلِ أم لا، أو ما هُو الوضعُ الَّذي يجبُ أنْ تتخِذَه النَّظريةُ، فإنها تشكلُ موضوعَ نقاشٍ تتداخلُ فيه أسئلةُ الواقعةِ وأسئلةُ المنطقِ على نحو غريبٍ.

2

[8] إنَّ الغَرضَ من التَّعقلِ هو إيجادُ شيءٍ آخرَ نجْهَلُه منْ خلالِ النَّظرِ في ما نعْرِفُه بالفعلِ. وبالتَّالي يكونُ التَّعقلُ جيداً إذا كانَ يقدِّمُ نتيجةً صادقةً انطلاقاً من مُقدمات صادقة، ولا شيءَ غيرَ ذلك. لذلك، فإنَّ مسألةَ الصِّحةِ على نحو خالصٍ [**112**] هي مسألةُ واقعةٍ وليستْ مسألةَ تفكيرٍ. فإذا كانت «أ» هي المقدمات، و«**ب**» هي النتيجة، [69] فإنَّ السؤالَ هو ما إذا كانتْ هذه الوقائع الثانية مُترتِّبة حقًا عن الأولى حيث إذا كانت «أ» تكون «**ب**» على نحو عام. إذا كانَ الأمرُ كذلك، فإنَّ الاستدلالَ صحيحٌ؛ وإنْ لمْ يكنْ كذلك، فهو ليسَ بصحيحٍ. لا تتعلقُ المسألةُ إطلاقا بما إذا كنا نشعرُ، لمَّا يقبلُ العقلُ المقدماتِ، بدافعٍ لقَبولِ النتيجةِ أيضًا. فمنَ الصَّحيحِ أنَّنا نفكرُ على العموم على نحو دقيقٍ بطبيعَتنا. غير أنَّه من بَابِ العَرضِ؛ أن تبقى النَّتيجةُ الصادقةُ صادقةً إذا لمْ يكنْ لدينا دافعٌ لقبولِها؛ وأنْ تظلَ النتيجةُ الكاذبةُ كاذبةً، رغم أنَّه ليس بمقدُورنا مقاومةَ النُّزوعِ نحو الإيمانِ بها.

[9] نحنُ بلاَ شكٍ كائناتٌ منطقيةٌ من حيثُ الأساسُ، لكنَّنا لسْنَا كذلكَ على وجهٍ تامٍ. فمُعظمُنا، على سبيلِ المثالِ، متفائلون أكثرَ ومفعمون بالأمل أكثر بطبعنا مما يبرره المنطق. يبدو أننا منشئون لدرجة أنه في غياب أي وقائع يمكن الاستناد إليها، فإننا نكون سعداء وراضين عن أنفسنا؛ بحيث يكون تأثير التجربة هو تقليص آمالنا وتطلعاتنا باستمرار. ومع ذلك، فإن تطبيق هذا التَّصحيح طوال العُمر لا يؤدي عادة إلى القضاء على مزاجنا المتفائل. وحيثُما لا يتحقق الأمل بوجود أيِّ تجربة، فمن المُرجح أنْ يكون تفاؤلنا مبالغاً فيه. إنَّ المنطق فيما يتعلق بالأمور العملية[70] هو الخاصية الأكثر إفادة الَّتي يمكنُ أنْ يمتلكها هذا الكائن، وبالتَّالي قد تنتجُ عن فعل الانتقاء الطَّبيعي؛ لكن خارجَ هذه الأمور ربما يكونُ من الأفضل للكائن أنْ يكون عقلُه مليئًا بالرُّؤى

68- في المخطوط 334، أضاف **پورس** لفظ «نسبي» قبل لفظ «عدد».

69- في المخطوط 334، قام **پورس** بتغيير عبارة « أ...النتيجة» بعبارة «أ كونها الواقعة المصرح بها في المقدمات، وب المستنبطة منها».

70- في المخطوط 334، أضاف **پورس** عبارة «(إذا تم فهم هذا ليس بالمعنى القديم، ولكن على أنه يتكون من اتحاد حكيم للضمانة مع التعقل المثمر)».

السَّارة والمُشجعة، على نحو مستقلٍ عن حقيقتها؛ وبالتَّالي، فقد يؤدي الانتقاء الطَّبيعي إلى نزوعٍ مغالطٍ للفكر في موضوعاتٍ غير عملية.

[10] إنَّ ما يجعَلُنا نحدِّد استنتاج استدلالٍ واحدٍ من مقدماتٍ معطاةٍ بدلاً من الآخر، هو عادة للعقل، بغض النَّظر عمَّا إذا كانت هذه العادة فطريةٌ أو مكتسبةٌ. قد تكونُ العادة جيِّدة أو غيرُ جيدة؛ وذلك بحسب ما تنتجُه من نتائج صادقةٍ، انطلاقا من مُقدمات قد تكون صادقة أو غير صادقة؛ وبالنَّظر إلى الاستدلال باعتباره استدلالا صحيحا أو غير صحيح، دون الإشارة على نحو خاص إلى صدق نتيجته أو كذبها، وإنَّما بحسبِ العادة الَّتي تحدِّده الَّتي من شأنها أنْ تنتجَ نتائج صادقة أو غير صادقة على نحو عام. يُمكن صياغةُ عادة العقلِ الخاصة الَّتي تحكم هذا الاستدلال أو ذاك في قضيةٍ يقوم صدقُها على صحة الاستدلالات الَّتي تحدِّدها العادة؛ وتسمَّى هذه الصِّيغة **بالمبدأ الإرشادي** للاستدلال. لنفترض، على سبيل المثال، أنَّنا لاحظنا أنَّ قُرصًا دوارًا من النُّحاس يستقرُ سريعًا عند وضعِه بين قطبي مغناطيس، ونستدلُ بأنَّ هذا سيحدثُ مع كلِّ قُرصٍ من النُّحاس. إنَّ المبدأ الإرشادي هو أنَّ ما يصدُق على قطعةٍ من النُّحاسِ يصدُق على قطعة أخرى. ومثلُ هذا المبدأ الإرشادي فيما يتعلقُ بالنُّحاس سيكون أكثر أمانا بكثيرٍ منه فيما يتعلق بالعديد من المعادن الأخرى – من قبيل البُرونز، على سبيل المثال.

[11] قد يتم تأليفُ كتابٍ للإشارةِ إلى أهم هذِه المبادئ الإرشادية للتعقُّلِ. وعلينا أنْ نعترفَ، أنَّ هذا الكتابَ لن يكونَ مفيدًا على الأرجح لشخصٍ يتجِه عقله بالكاملِ إلى مواضيعَ عمليةٍ، والَّذي يتحرك نشاطُه على طول مسارات مطروقة تمامًا. **[113]** إنَّ المشاكل الَّتي تطرحُ نفسها على مثل هذا العقل هي مسائل روتينية تعلِّم للجميع مرة واحدة كيفية التعامل معها أثناء تعلم مسائله. ولكنْ دعِ الإنسان يُغامر بالدخول في مجالٍ غريبٍ عنه، أو حيثُ لا يتم التَّحقق من نتائجها باستمرار من خلال التَّجربة، وكلُّ التاريخ يُظهر أنَّ العقلَ الأكثر شهامةً سوف يفقدُ في كثير من الأحيان توجُّهه، وتضيعُ جهودُه في اتجاهات لا تقرِّبُه من هدفه، أو قد تضلِّلُه على نحو تام. إنَّه كسفينة في عرض البحر، ليس على متنِها من يفهمُ قواعد الملاحة. وفي مثل هذه الحال، فمنَ المُؤكد أنَّ بعض الدِّراسات العامة للمبادئ الإرشادية للتعقل ستكونُ مُفيدة له.

[12] ومع ذلك، فمن الصُّعوبة بمكانٍ مُعالجة الموضوع دون تحديده أولاً؛ لأنَّ أيَّ واقعة يمكن أنْ تكون بمثابة مبدأ إرشادي على وجه التَّقريب. ولكن قد يقعُ هناك تقسيم بين الوقائع، حيث توجدُ في فئةٌ واحدةٍ كلُّ تلك الوقائع الَّتي تعتبر أساسية للغاية كمبادئ إرشادية، بينَما في الفئات الأخرى توجدُ كل ما لها أيُّ اهتمام آخر كموضوعات للبحث. إنَّ هذا التَّقسيم هو بين تلك الوقائع الَّتي تعتبر بالضرورة أمرا مسلما به عند السؤال عمَّا إذا كانت نتيجة مُحدَّدة تترتب عن[71] مقدمات محدَّدة، وتلك الَّتي لا تكون متضمنة لمثل هذا السُّؤال. ستبيِّن لحظةُ التَّفكير أنَّ وقائع متعددة تم افتراضُها بالفعل عند طرح السُّؤال المنطقي لأول مرة. فهذا يعني

71- في المخطوط 334، قام **بورس** بتغيير عبارة «ما إذا كانت...تترتب على» بعبارة «لم يعتقد أن هناك نتيجة مترتبة على مقدمات محددة «.

ضمنيا، على سبيل المثال، أنَّ هناك حالين للذهن من قبيل حال **الشك** وحال **الإيمان**، وأنَّ العُبور من حالٍ إلى حالٍ أخرى مُمكن، ويظلُ غرضُ التّفكير هو نفسهُ، وأنَّ هذا الانتقال يخضعُ لبعض القواعد الَّتي من خلالها يمكنُ أن تُلزمَ جميعَ العُقول على حدٍ سواء. وبما أنَّ هذه وقائع يجبُ أن نعرفَها بالفعل قبلَ أن يكون لدينا أيُّ تصورٍ واضحٍ عن التَّعقل على الإطلاق، فلا يُمكن افتراض أنَّه من المثير للاهتمام التَّحقق من صدقها أو كذبها. ومن جهة أخرى، فمن اليسير الإيمان بأنَّ قواعد التَّعقل تلك الَّتي يتم استنباطُها من فكرة العملية نفسِها هي القواعد الأكثر أهمية؛ وفي الواقع، فطالما أنَّها تتوافقُ مع هذه المبادئ، فإنَّها لن تؤدي، على الأقل، إلى نتائجَ كاذبة انطلاقا من مقدمات صادقة. وفي الواقع، إنَّ أهمية ما يمكنُ استنباطه من الافتراضات الَّتي يتضمنها السؤال المنطقي تبدو أعظم ممَّا يمكن افتراضُه، وذلك لأسباب يصعبُ عرضُها في البداية. إنَّ الشَّيء الوحيد الَّذي سأذكره هنا هو أنَّ التَّصورات الَّتي هي في الواقع نتاج للتأمل المنطقي، دون أنْ يُنظر إليها على أنَّها كذلك من الوهلة الأولى، تختلطُ بأفكارنا العادية، وكثيرًا ما تكونُ أسبابًا لخلط فادحٍ. وهذا هو الحالُ، على سبيل المثال، مع تصور صفة الشَّيء. فالصِّفة، على هذا النَّحو، ليست شيئا يمكنُ ملاحظتُه قطعا. يمكننا أنْ نرى أنَّ شيئًا ما أزرق أو أخضر، لكن صفة كونه أزرقًا وصفة كونه أخضر شيآن لا نراهُما؛ إنَّهما نتاجين لتأملات منطقية. والحقيقةُ هي أنَّ هذا الحس المشترك، أو الفكر لمَّا يظهر لأول مرة فوق المستوى العملي الضَّيق، يكون مشبعا بعمق بتلك الصِّفة المنطقية السَّيئة التي يُطلق عليها عادةً لقب **ميتافيزيقي**؛ ولا شيء يمكنُ أنْ يوضِّح الأمرَ سوى الدَّرس الصَّارمة للمنطق.

3

[114][13] نحنُ نعرفُ على العموم متى نريدُ أنْ **نطرحَ سؤالاً**، ومتى نريدُ أنْ **نُصْدِرَ حُكماً**؛ لأنَّ هناك تبايُنٌ بينَ الإحساسِ بالشَّكِ والإحساسِ بالإيمانِ.

[14] ولكنَّ هذا ليس كلُّ ما يُميِّزُ الشَّكَ عنِ الإيمانِ. هناك فرق عملي. فإيماننا يُوجِّه رغباتنا ويُجسِّد أفعالَنا. لقدْ كانَ الحشَّاشون، أو أتباعَ شيخِ الجبلِ، [72] ينقادون إلى الموتِ عندَ أقلِّ أوامره، لإيمانِهم بأنَّ طاعتَه ستضمنُ لهم السَّعادةَ الأبدية. ولو شكَّكوا في ذلك لَمَا فعلوا مثلَ ما فعلوه. وهكذا فكلُّ إيمانٍ، بحسب درجَته. إنَّ الشُّعورَ بالإيمانِ مؤشرٌ مؤكدٌ إلى حد ما على وجودِ عادةٍ راسخةٍ في طبيعتِنا، والَّتي ستُحدِّد أفعالنا. إنَّ الشَّكَ ليس له مثلُ هذا التَّأثير أبدا.

[15] ولا ينبغي لنا أنْ نغفلَ نقطةَ اختلافٍ ثالثة. إنَّ الشَّكَ حالٌ من عدمِ الاستقرارِ وعدمِ الرضا، نكافحُ من أجلِ تحريرِ أنفسنا من قبضته، والانتقالِ إلى حالِ الإيمانِ؛ بينما هذا الأخير هو حالٌ من الهدوءِ والرضا

72- تنظيم ديني وعسكري سوري تأسس سنة 1090 في بلاد فارس، ثم استقر في لبنان سنة 1272، وقيل إن الروح المقدسة تحل في شيخ الجبل، الذي تم اتباع وصيته بالطاعة العمياء. اشتهر القتلة من أتباعه بالأعمال الإرهابية واسعة النطاق. وقد تضاعفت أعداد القتلى خلال فترة الحروب الصليبية.

لا نرغبُ في تجنُبهما أو تغييرِهما بالإيمانِ بأيِّ شيءٍ آخر.[73] وعلى العكسِ من ذلك، نحن نتمسكُ بقوةٍ، ليس بالإيمان فقط، وإنما نتمسكُ بالإيمانِ بما نُؤمنُ به على وجهِ الدِّقةِ.

[16] وعليه، فإنَّ لكلٍّ من الشَّك والإيمانِ تأثيراتٌ إيجابيةٌ علينا، رغمَ اختلافِهما الشَّديد. إنَّ الإيمانَ لا يجعلُنا نتصرفُ على الفور، ولكنَّه يضعُنا في حال تجعلنا نتصرف بطريقة محدَّدة، لمَّا تتاح الفرصة. ليس للشك تأثير أقل فعالية من الإيمان، بل إنَّه يُحفزنا على الفعل حتَّى يتم تدميره.[74] وهذا يذكرنا بتهيج العصب والاستجابة المنعكسة الناتجة عنه؛ بينما بالنسبة لنظيره الإيمان، في الجهاز العصبي، يجبُ أنْ ننظر إلى ما يسمى بالارتباطات العصبية - فعلى سبيل المثال، فيما يتعلقُ بعادة الأعصاب الَّتي تكون نتيجتُها أن شم رائحة الخوخ سيجعل الفم يسيلُ لعابا.

4

[17] تؤدي إثارة الشَّك إلى الكفاح من أجل الوصول إلى حال الإيمان. سأقوم بتسمية هذا الكفاح **بحثا استكشافيا**، على الرَّغم من أنَّه يجب الاعتراف بأنَّ هذه التَّسمية ليست مناسبة جدًّا لمَا يعنيه في بعض الأحيان.

[18] إنَّ إثارة الشَّك هي الدَّافعُ المباشر الوحيدُ للكفاح من أجل تحقيق الإيمان. ومن المؤكد أنَّه من الأفضل بالنِّسبة إلينا أنْ يكون إيماننا من النَّوع الَّذي يُمكن أنْ يوجِّه أفعالنا حقًا حيث يُرضي رغباتنا؛ وهذا التَّأمل سيجعلنا نرفضُ كلَّ إيمانٍ لا يبدو أنَّه قد تشكل بحيث يضمنُ هذه النَّتيجة، لكنَّه لن يفعل ذلك إلاَّ من خلال خلقِ الشَّك في مكانِ ذلك الإيمان. فبالشَّك يبدأ الكفاح، وبزوال الشَّك ينتهي الكفاح. وعليه، فإنَّ الهدفَ الوحيد **[115]** للبحث الاستكشافي هو استقرارُ الرَّأي. وقد نتوهم أنَّ هذا لا يكفينا، وأنَّنا لا نسعى إلى مجرد الوصول إلى رأي، بلْ نسعى إلى الوصول إلى رأي حقيقي. لكن ضع هذا الوهم على المحك، وسيثبتُ أنَّه لا أساس له من الصِّحة؛ لأنَّه بمجرد الوصول إلى إيمان راسخ، فإننا نكون راضين تمامًا، سواء كان الإيمان صحيحًا أو خاطئًا. ومن الواضح أنَّه لا يمكنُ لأيِّ شيء خارج نطاق معرفتنا أنْ يكون موضوعا لنا؛ لأنَّه لا شيء لا يؤثرُ على العقل لا يمكن أنْ يكون دافعًا للكفاح العقلي. إنَّ أقصى ما يمكنُ الحفاظ عليه هو أنَّنا نسعى إلى الإيمان الَّذي **نظن** أنَّه صحيح. ولكنَّنا نعتقد أنَّ كلَّ ما نؤمن به صحيحا، وفي الواقع، أنَّ نقول ذلك هو مجرد تحصيلُ حاصلٍ.

[19] إنَّ كون استقرار الرَّأي هو الغاية الوحيدة للبحث الاستكشافي قضية في غاية الأهمية. إنَّه يدحض، في نفس الآن، العديد من تصورات الإثبات الغامضة والخاطئة. يمكنُ إدراك عددٍ قليل من هذه التصورات هنا:

أ- لقد تخيَّل بعض الفلاسفة أنَّه لبدء البحث الاستكشافي لا يلزم سوى التَّلفظ بسؤال سواء كان شفهيًا أو مكتوبا على الورق، بل وأوصونا أنْ نبدأ دراستنا بوضع كلِّ شيء موضع سؤال! لكن مجرد وضع القضية في

73- أنا لا أتحدث عن التأثيرات الثانوية التي تنتج أحيانا عن تداخل دوافع أخرى (المؤلف).

74- في المخطوط 334، قام **بورس** بتغيير عبارة «تأثير من هذا النوع» بعبارة «مثل هذا التأثير الفعال»، وغيَّر لفظ «الفعل» بلفظ «البحث».

صيغة الاستفهام أمر لا يحفزُ العقل على أيِّ كفاح بعد الإيمان. فلا بد أن يكون هناك شك واقعيٌّ وحيٌّ، وبدون هذا يكون كلُّ نقاشٍ تافهاً.

ب- إنَّ فكرةً شائعةً جدًا مفادها أنَّ البُرهان يجبُ أنْ يرتكزَ على بعض القضايا النِّهائية وغير القابلة للشَّك على القطع. هذه، بحسبِ إحدى المدارس تكون مبادئ أولى للطبيعة العامة؛ وحسب الأخرى، تكونُ إحساسات أولى. ولكن، في واقع الأمرِ، فإنَّ أي بحثٍ استكشافيٍّ، لكي يتم الحصول فيه على نتيجة مُرضية تمامًا تسمَّى برهانا، يجب عليه أنْ يبدأ فقط بقضايا خالية تمامًا من كلِّ شكٍّ واقعيٍّ. إذا لم تكن المقدمات في الواقع مشكوكا فيها على الإطلاق، فلا يمكن أن تكون أكثر إرضاءً ممَّا هي عليه الآن.

ت- يبدو أنَّ بعض النَّاس يحبون الجدال حول موضوع بعد اقتناع كلِّ النَّاس بها تمامًا. ولكن لا يمكنُ تحقيق المزيد من التَّقدم. فلمَّا يتوقف الشَّك، ينتهي العملُ العقليُّ بشأن الموضوع؛ وإذا استمر الشك، فسيكونُ بلا هدف.

5

[20] إذا كانَ استقرارُ الرَّأي هو الغرضُ الوحيد للبحث، وإذا كان الإيمانُ من طبيعة العادة، فلم لا نبلغ الغاية المرجوة، عن طريق قبوله كإجابةٍ عن أيِّ سؤالٍ قد نتوهمُه، ونردِّده باستمرارٍ على أنفسنا،[75] ونستقر في كلِّ ما قد يؤدي إلى هذا الإيمان، ونتعلمُ كيفية التَّعامل بازدراء وكراهية لأيِّ شيء قد يزعجه؟ إنَّ هذا المنهج البسيط والمباشر يتَّبعُه كثير من النَّاس. أتذكر أنَّه قد تم نُصحي ذاتَ مرةٍ بعدم قراءة صحيفة خشيةَ أن تغيِّر رأيي بشأن التِّجارة الحُرة. لقد عبَّروا عن ذلك بقولهم: «لئلا أقع في شرك مغالطاتها وتحريفاتها». لقد قال صديقي: «أنت لستَ طالبًا متخصصًا في الاقتصاد السِّياسي. ولذلك، قد يتمُ خداعُك بسهولة **[116]** بحجج مغلوطةٍ حول هذا الموضوع. ومن ثم، إذا قرأتَ هذه الصَّحيفة، فقد تقودُك إلى الإيمانِ بالحِماية. لكنَّك تسلِّمُ بأنَّ التِّجارة الحُرةَ هي المذهب الصَّحيح، ولا ترغبُ في تصديق ما هو غير صحيح». لقد عرفتُ مرارا أنَّ هذا النِّظام تم اعتمادُه عن قصد. وفي كثير من الأحيان، لا تزالُ الكراهية الغريزية للحالة الذهنية المتردِّدة، والَّتي يتم المبالغة فيها لتصل إلى خوفٍ غامضٍ من الشَّك، تجعل النَّاس يتشبثون على نحو متشنجٍ بالآراء الَّتي يقبلونها بالفعل. ويشعرُ الإنسان أنَّه إذا تمسك بإيمانه دون تردُّد، فإنَّه سيكون راضيًا على وجه التَّمام. ولا يمكنُ إنكار أنَّ الاعتقاد الثابت والراسخ يؤدي إلى راحة البال. في الواقع، قد يؤدي ذلكَ إلى حدوثِ انزعاج، كما لو كانَ على الإنسان أن يستمر في الإيمان بأنَّ النَّار لن تحرقَه، أو أنَّه ستحلُ عليه اللَّعنة إلى الأبد إذا ابتلع **طعامَه** بدون أنبوب المعدة. ولكن بعد ذلك، فإن الإنسان الذي يتبنى هذا المنهج لن يسمح لنفسه بأن تكون مساوئه أكبر من فوائده. فيقول: «أنا متمسك بالحقيقة على نحو ثابت، والحقيقة مأمونة على الدوام.» وفي كثير من الحالات قد تكون المتعة التي يستمدها من اعتقاده الهادئ تتغلب على أي انزعاج ناتج عن طابعها الخادع.

75- في المخطوط 334، غيَّر **بورس** العبارة «أي...الذي...و» بعبارة «ك...أي...وإذن».

وهكذا، إذا كان صحيحًا أنَّ الموتَ فناءٌ، فإنَّ الإنسانَ الَّذي يؤمنُ بأنَّه سيذهب على وجه القطع إلى الجنة مباشرة لمَّا يموت، بشرط أن يكون قد قام ببعض الشَّعائر البسيطة في هذه الحياة، ولديه متعة رخيصة لن تكن متبوعة على الأقل بخيبة أمل. يبدو أن اعتبارًا مماثلاً له وزن لدى العديد من الأشخاص في المواضيع الدينية، لأننا كثيرًا ما نسمع هذا القول: «آه، ليس بمقدوري أن أومن بكذا وكذا، لأنني سأكون شقيا إذا فعلت ذلك». لمَّا تدفن النَّعامةُ رأسها في الرِّمال مع اقترابِ الخطر، فمن المرجح أنها تسلك المسار الأكثر سعادة. تخفتي عن الخطر، ثم تقول بهدوء: لا يوجد هناك خطر؛ وإذا كانت تشعر بالتأكيد التام من عدم وجود شيء خطر، فلم ترفع رأسها لترى ما إذا كان هناك خطر؟ قد يعيش الإنسان حياته، وهو يبتعد بشكل منهجي عن كل ما قد يسبب تغييرًا في آرائه، وإذا نجح فقط - مستندًا في منهجه، كما يفعل، إلى قانونين نفسيين أساسيين - فلا أرى ما يمكن قوله ضد قيامه بذلك. سيكون من الوقاحة الأنانية الاعتراض على أنَّ إجرائه غير عقلاني؛ لأنَّ ذلك يعني فقط القول بأنَّ منهجَّه في استقرار الإيمان ليس هو منهجنا. إنَّه لا يفترض في نفسه أنْ يكون عقلانيًا، بل غالبًا ما يتحدث بازدراء عن عقل الإنسان الضعيف والمخادع. لذا دعْهُ يظنُ كما يشاء.

[21] لكنَّ هذا المنهجَ في ترسيخ الإيمان، والَّذي يمكنُ أن نطلق عليه **منهج الإصرار**، لنْ يتمكن من الثَّبات على أرض الواقع في المُمارسة العَملية. إنَّ الدافع الاجتماعي ضده. إنَّ الإنسان الذي يتبناه سيجدُ أنَّ الآخرين يفكِّرون بشكل مُختلف عنه، وسيكون من المُمكن أنْ يخطر بباله، في لحظة أكثر عقلانية، أنَّ آراءَهم جيِّدة تمامًا مثل آرائه، وهذا سوف يهز ثقته في إيمانه. إنَّ هذا التَّصور القائل بأنَّ فكر أو شعور شخص آخر قد يكون معادلاً لفكر أو شعور شخص ما، هو خطوة جديدة تمامًا، وخطوة مهمة للغاية. إنَّه ينشأ من دافع قويٍّ جدًا [117] في الإنسان حيث لا يُمكن إيقافُه، دون التَّعرض لخطر تدمير الجنس البشري. وما لم نجعلْ أنفسنا نُساكًا، فسوف نؤثر بالضَّرورة على آراء بعضنا بعض، حيث تُصبح المشكلة هي كيفيةُ ترسيخ الإيمان، ليس في الفرد فحسب، وإنَّما في المجتمع كذلك.

[22] فلتحلْ إرادةُ الدَّولة إذا محلَ إرادة الفرد. ولتنشأ مؤسسة يكون هدفُها إبقاءُ المذاهب الصَّحيحة أمام انتباه النَّاس، وترديدُها على الدَّوام، وتعليمُها للشباب؛ ولهذه المؤسسة في نفس الوقت القدرة على منعِ المذاهب المُخالفة من أنْ تُدرس، أو يتم الدِّفاع عنها، أو يتم التَّعبير عنها. دع جميع الأسباب المُمكنة لتغيير العقل تُزالُ من فهم النَّاس. ودعهم يظلون جاهلين، لئلا يتعلموا سببًا ما يجعلهم يفكِّرون بطريقة مختلفة عمَّا يؤمنون به. لتكن أهواءهُم مُجيَّشة، حتَّى ينظروا إلى الآراء الخاصة وغير الاعتيادية بالكراهية والرُّعب. ثم، فليخيِّم الصَّمتُ على أولئك الذين يرفضون الإيمان الرَّاسخ. دع الرَّعاع يطردون مثل هؤلاء النَّاس، أو يتم إجراء تحقيقاتٍ على طريقة تفكير الأشخاصِ المشتبه فيهم، ولمَّا يثبتُ أنَّهم مذنبون بانتحال الإيمانِ المُحرم، فليخضعوا لبعض العُقوبات القاسية. لمَّا لا يمكنُ التَّوصل إلى اتفاق تام بطريقة أخرى، فإنَّ المذبحة الشَّاملة لأولئك الذين لم يفكروا بطريقة محدَّدة أثبتت أنَّها وسيلة فعالة للغايَة لاستقرار الرَّأي في بلد ما. إذا كانت القدرةُ على القيام بذلك غير كافية، فلتوضع قائمة من الآراء، الَّتي لا يمكنُ لأيِّ شخص أقل استقلالية في الفكر

أنْ يوافقَ عليها، ودع المُخلصين مطالبين بقبولِ كلِّ هذه القضايا، من أجل فصلِهم بشكلٍ جذري قدر الإمكان عن تأثيرِ بقيةِ النَّاس.

[23] لقد كانَ هذا المنهجُ، منذ أقدم العصور، إحدى الوسائل الرَّئيسة لدعم المذاهب اللاهوتية والسَّياسية الصَّحيحة [في نظرهم بالطبع]، والحفاظ على طابعها الشُّمولي أو الكاثوليكي. ففي روما، على وجه الخصوص، تم القيام بهذه الممارسة منذ أيام **نوما پومپيليوس** وحتَّى أيام **بيوس نونوس**.[76] وهذا هو المثال النَّموذجي في التاريخ، غير أنَّه حيثما يوجد كهنوت – ولم يكن دين بدون كهنوت - فقد تم استعمال هذا المنهج بشكل أو بآخر. وحيثُما تُوجد أرستقراطية، أو نقابة، أو أيُّ جمعية لطبقة من النَّاس الذين تعتمد مصالحهم، أو من المفترض أن تعتمد، على قضايا محدَّدة، فسوف يتم العثور حتما على بعض آثار هذا النِّتاج الطَّبيعي للشعور الاجتماعي. إنَّ القسوة تُصاحب هذا النِّظام على الدَّوام؛ ولمَّا يتم تنفيذها باستمرار، فإنَّها تصبحُ فظائع من أبشع الأنواع في نظر أيِّ إنسان عاقل. ولا ينبغي أنْ تكون هذه المناسبة مفاجئة، لأنَّ قائد المجتمع لا يشعر بأنَّ له ما يبرِّره في التَّنازل عن مصالح ذلك المجتمع من أجل الرَّحمة، كما قد يفعل لمصالِحه الخاصة. ومن الطَّبيعي إذن أن يؤدي التَّعاطف والزَّمالة إلى إنتاج قوة شديدة القسوة.

[24] إنَّ الحكم على هذا المنهج في ترسيخ الإيمان، والَّذي يمكن أنْ يسمَّى **منهج السُّلطة**، يجب علينا، في المقام الأول، أنْ نسمحَ بتفوُّقه الذِّهني **[118]** والأخلاقي الَّذي لا يقاسُ بمنهج الإصرار. فنجاحُه أكبر نسبيا. وفي الواقع، لقد حقَّق مرارًا وتكرارًا نتائج في غاية المَهابة. إنَّ المآثر الحجرية التي تسبب في تشييدها - في مملكة التايلاند، وفي مصر، وفي أوروبا، على سبيل المثال - تتمتع الكثير منها بسمو لا تكادُ تنافسه أعظمُ الأعمال الطَّبيعة. وباستثناء العُصور الجيولوجية، لا توجد فتراتٌ زمنيةٌ واسعة مثلَ تلك الَّتي تقاسُ ببعض هذه العقائد المُنظمة. إذا قمنا بفحص الأمر عن كثب، فسنجدُ أنَّه لم يكن هناك أيٌّ من عقائدهم ظلتْ كما هي دائمًا. ومع ذلك، فإنَّ التَّغيير يكون بطيئًا جدًّا، حيث لا يكونُ مدرَكا خلال حياة شخص واحد، حيث يظلُ إيمانُ الفرد ثابتًا بشكلٍ حسيٍّ. بالنسبة إلى جلِّ النَّاس، ربما لا يوجد منهج أفضل من هذا. فإذا كانَ دافعُهم الأسمى هو أنْ يكونوا عبيدًا على المستوى الفكري، فيجب عليهم أنْ يظلوا عبيدًا.

[25] لكن لا يمكنُ لأيِّ مؤسسة أنْ تتولى تنظيم الآراء حول كلِّ موضوع. يمكن الاهتمام فقط بالقضايا الأكثر أهمية. أمَّا الباقي، فيجبُ أن تترك لعقول النَّاس لفعل الأسباب الطبيعية. لنْ يكون هذا النَّقص مصدرًا للضعف طالما أنَّ النَّاس في حالٍ ثقافية بحيث لا يؤثِّر رأيٌّ واحدٌ على رأيٍّ آخر- أي ما داموا غير قادرين على الجمع بين الاثنين. ولكن في الحالات الأكثر خضوعًا للكهنة، سيتم العثور على بعض الأفراد الذين تجاوزوا هذا الوضع. يمتلك هؤلاء الناس نوعًا أوسع من الشعور الاجتماعي؛ إنهم يرون أن الناس في بلدان أخرى وفي عصور

76- من البداية إلى الحاضر، أي أن **نوما پومپيليوس** كان هو الملك الأسطوري الثاني لروما (672-715)، وكان **بيوس** التاسع، وأو **جيوفاني ماستاي فيريتي** بابا من سنة 1846 حتى وفاته سنة 1878، وكان المحرك الرئيس في قبوله في 18 يوليوز سنة 1870، هو عقيدة العصمة البابوية، وهو الحدث الذي أثار إعجاب **پورس** بشدة.

أخرى اعتنقوا مذاهب مختلفة تمامًا عن تلك التي نشأوا هم أنفسهم على الإيمان بها، ولا يمكنهم إلاَّ أنْ يدركوا أنهم ليس باب المُصادفة أنهم تعلموا بهذا المنهج، وأنَّهم مُحاطون بالعادات والرَّوابط الَّتي لديهم، وهي الَّتي جعلتهم يؤمنون كما يفعلون، وليس بشكل مختلف كثيرًا. ولا يمكنُ لصراحتهم أنْ تقاوم فكرة أنَّه لا يُوجد سبب لتقييم وجهات نظرهم بقيمة أعلى من آراءِ الأمم الأخرى والقرون الأخرى؛ ممَّا يثيرُ الشُّكوك في أذهانهم.

[26] إنَّهم سيدركون أيضًا أنَّ مثل هذه الشُّكوك يجبُ أن تكون موجودة في أذهانهم فيما يتعلقُ بكلِّ إيمانٍ يبدو أنَّه يتحدَّد إمَّا بهواهم أو يتحدد من قبل أولئك الذين أنشأوا الآراء العامة. لذلك، يجبُ التَّخلي عن التَّمسك المتعمد بإيمان ما، وفرضِه تعسفًا على الآخرين. لذلك يجبُ تبني منهجٍ جديدٍ ومختلف لاستقرار الآراء، لا يؤدي إلى توليدِ دافع للإيمان فحسب، بلْ يحدِّد أيضًا القضية الَّتي يجبُ الإيمانُ بها. دع فعل الاختيارات الطبيعية لا يعوقه أي عائق، وتحت تأثيرها، دع الناس، وهم يتحدثون معًا وينظرون إلى الأمور بأضواء مُختلفة، يطورون إيمانهم بما ينسجم مع الأسباب الطبيعية. يُشبهُ هذا المنهجُ ذلك الَّذي وصلتْ به تصوراتُ الفنِ إلى مرحلة النُّضج. وأفضلُ مثالٍ على ذلك يمكنُ العثور عليه في تاريخ الفلسفة الميتافيزيقية. إنَّ الأنساقَ من هذا النَّوع لم تعتمدْ عادة على أيِّ وقائعَ ملحوظة، **[119]** وقد تكون فعلت ذلك على الأقل، ولكنْ ليسَ بدرجةٍ كبيرة. لقد تم تبني هذه الأنساق بشكل أساسي؛ لأن قضاياها الأساسية بدت «مقبولة للعقل». إنَّ هذا تعبيرٌ مناسب، ولا يعني ذلك ما يتفق مع التَّجربة، بلْ ما نجد أنفسنا نميلُ إلى الإيمان به. لقد وجد **أفلاطون**، على سبيل المثال، أنَّه من المقبول عقلا أن تكون المسافات بين الأفلاك السماوية مع بعضها بعض متناسبة مع أطوال الأوتار ***springs*** المُختلفة التي تنتج أوتارًا ***chords*** متناغمة.[77] لقد تم دفع العديد من الفلاسفة إلى استنتاجاتهم الرئيسة من خلال اعتباراتٍ كهذه؛ لكن هذه هي الصُّورة الأدنى والأقل تطورًا الَّتي يتخذُها المنهج، لأنَّه من الواضح أنَّ إنسانا آخر قد يجدُ نظرية **كيبلر**، القائلة بأنَّ الأفلاك السَّماوية تتناسب مع الأفلاك المحاطة والمحدودة لمختلف المواد الصلبة المنتظمة، أكثر توافقًا مع **عقله**. لكنَّ صدمة الآراء ستقود النَّاس قريباً إلى الاعتماد على اختيارات ذات طبيعة أكثر كونية بكثير. لنأخذ على سبيل المثال المبدأ القائل إنَّ الإنسان لا يتصرفُ إلاَّ على نحو أناني؛ أي انطلاقًا من اعتبار أنَّ التَّصرف بطريقة ما سيمنحه متعة أكبر من التَّصرف بطريقة أخرى.[78] وهذا لا يعتمد على أي واقعة في العالم، لكنَّه حظي بقبول واسع باعتباره النَّظرية المعقولة الوحيدة.

[27] إنَّ هذا المنهج أكثر عقلانية واحتراما من وجهة نظر العقل من أيِّ واحد من المنهجين الأخريين اللذين أدركناهما.[79] لكنَّ فشلَه كان أكثر جلاءً. فهو يجعلُ من البحث الاستكشافي شيئًا مشابهًا لتطور الذَّوق؛ لكنَّ الذوق، لسوء الحظ، هو دائمًا مسألة موضة بشكل أو بآخر، وبالتالي لم يتوصل الميتافيزيقيون أبدًا إلى

77- انظر محاورة تيماوس، ص.35-39، أو محاورة أبينوس، 599، ص. 92

78- انظر الصفحة 72 ن.

79- أضاف **پورس** في المخطوط 334 هذه الجملة «في الواقع، طالما لا يمكن تطبيق منهج أفضل، فيجب اتباعه، حيث أن التعبير عن الغريزة هو الذي يجب أن يكون السبب النهائي لإيمانه في جميع الحالات»، وقد غيَّر **پورس** لفظ «لكن» بتعبير «مع ذلك».

أيِّ اتفاق راسخ، لكنَّ بندول الفلسفة تأرجح ذهابًا وإيابًا بين فلسفة أكثر مادية وفلسفة أكثر عقلانية، منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا. ومن خلال هذا المنهج، الَّذي يسمَّى **بالمنهج القبلي**، نكون مُنقادين إلى الاستقراء الصَّادق[80]، حسب عبارة اللُّورد **بيكون**. لقد فحصنا هذا المنهج القبليَّ كشيء وعد بتحرِّير آرائنا من عناصرها العرضية والنزوية. لكنَّ التَّطور، ففي الوقت الَّذي يكون عملية تهمل تأثير بعض الظروف العرضية، فإنَّه لا يؤدي إلاَّ إلى تعظيم تأثير ظروف أخرى. وبالتَّالي، فإنَّ هذا المنهج لا يختلفُ جوهريًا عن منهج السُّلطة. ربما لم تُشرِ الحكومة بأصابعها إلى التَّأثير على قناعاتي؛ ربما تركت لي ظاهريًا حُرية الاختيار بين الزَّواج الأحادي وتعدُّد الزَّوجات على سبيل المثال، ومناشدة ضميري فقط، ربما استنتجتُ أنَّ المُمارسة الأخيرة [تعدُّد الزَّوجات] هي في حد ذاتها مُمارسة فاجرة، ولكن لمَّا أرى أنَّ العقبة الرَّئيسة أمام انتشار المسيحية بين شعب يتمتع بثقافة رفيعة كحال الهندوس، كان الاقتناع بعدم أخلاقية طريقتنا في معاملة النِّساء. لا يسعني إلاَّ أنْ أرى ذلك، على الرَّغم من عدم تدخل الحكومات، سيتم تحديد المشاعر في تطوُّرها إلى حد كبير لأسباب عرضية. الآن، هناك بعض الأشخاص، الَّذين يجبُ أن أفترض أن يوجد قارئي من بينهم، والَّذين، لمَّا يرون أنَّ أيَّ إيمان خاص بهم يتحدد بواسطة أي ظرف خارج عن الوقائع، فإنَّهم لن **[120]** يعترفوا منذ تلك اللحظة بالألفاظ فقط بأن هذا الإيمان مشكوك فيه، وإنَّما سيواجهون شكًا حقيقيًا فيه، بحيث يتوقَّف عن كونه إيمانا.[81]

[28] إذن، فمن أجل وضع حدٍ لشكوكنا، فمن الضَّروري إيجادُ منهجٍ يمكن من خلاله تحدِّيد إيماننا من خلال شيء ليس ببشريٍّ، وإنَّما من خلال شيءٍ خارجٍ عنَّا وغيرُ قابل للتغيير - أي من خلال شيء ليس لتفكيرنا أيُّ تأثير فيه. يتخَّيل بعْضُ المتصوفة أنَّ لديهم مثلَ هذا المنهج يتلقونه بإلهام خاص من السَّماء. لكنَّ هذا ليس سوى شكلٌ من أشكال منهج الإصرار، حيثُ لم يتم بعد تطوير مفهوم الحقيقةً كشيءٍ عام. إنَّ ديمومتنا الخارجية لنْ تكون خارجية، حسب تصوُّرنا، إذا اقتصر تأثيرُها على فردٍ واحدٍ. يجب أنْ تكون شيئًا يؤثِّر، أو قد يؤثِّر، في كلِّ إنسان. وعلى الرَّغم من أنَّ هذه التأثيرات تتعدد بالضَّرورة مثل الظُّروف الفردية، إلاَّ أن المنهجَ يجبُ أنْ يكونَ بحيث تكونُ النَّتيجةُ النِّهائية عند كلِّ إنسان هي نفسها. هكذا هو منهج العلم. فرضيتُه الأساس، الَّتي أعيدُ صياغتها بلغةٍ مألوفة أكثر، هي كما يلي: هناك أشياءٌ واقعيةٌ، خصائصُها مستقلةٌ تمامًا عن آرائنا عنها؛ وتؤثِّر هذه الوقائع في حواسنا وفقًا لقوانين مُنتظَّمة، وعلى الرَّغم من أنَّ أحاسيسنا مُختلفة مثل علاقاتنا بالأشياء، إلا أنه من خلال الاستفادة من قوانين الإدراك، يمكننا التحقق بواسطة الاستدلال من كيفية كون هذه الأشياء واقعية وحقيقة؛ وأيُّ إنسان، إذا كانت لديه التَّجربة الكافية، ونظرَ بما يكفي فيها، فسوف يصلُ إلى النَّتيجة الصَّادقة الوحيدة. إنَّ المفهوم الجديد المقصود هنا هو **مفهوم الواقع**. قد يُطرح سؤال عن كيف أعرفُ أنَّه تُوجد هناك أيُّ وقائع؟ إذا كانتْ هذه الفرضيةُ هي السَّند الوحيد لمنهجي في البحث الاستكشافي، فهلْ منهجي في البحث الاستكشافي يجبُ أن يُستعمل لدعم فرضيتي؟ والرَّد على هذا السُّؤال يكون الآتي: **1**- إذا كانَ الفحصُ لا يمكن اعتبارُه دليلاً على وجود أشياءٍ واقعية، فإنَّه لا يؤدي على الأقل إلى نتيجة مناقضة؛ لكنَّ

80- فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، 1، ص.19-21

81- في المخطوط 334، أضاف **بورس** فعل «يتوقف» إلى عبارة «بدرجة ما على الأقل» في الجملة التالية. وقام بتغيير لفظ «مسبب» بلفظ «محدد».

المنهج والتَّصور الَّذي يقوم عليه يظلُ في اتساق دائمًا. وبالتَّالي، لا تحومُ بالضَّرورة أيُّ شكوك حول المنهج من خلال مُمارسته، كما هو الحال في كلِّ المناهج الأخرى. **2**- إنَّ الشُّعور الَّذي يؤدي إلى نشأة أيِّ منهج لترسيخ الإيمان هو عدمُ الرضا عن قضيتين متناقضتين. ولكنْ هنا بالفعل تسليم بأنَّ هناك شيئًا واحدًا يجبُ أنْ تمثِّله القضية. وعليه، فلا يمكنُ لأحد أنْ يشكَ حقًا في وجود الوقائع؛[82] لأنَّه إذا شك في وجودها، فإنَّ الشَّك لا يكونُ مصدره عدم الرضا. ولذلك، فإنَّ الفرضية هي الَّتي يُسلِّمُ بها كلُّ عقلٍ. إذن، فإنَّ الدَّافع الاجتماعي لا يتسبَّب جعل النَّاس يشكون فيها. **3**- إنَّ كلَّ شخص يستعملُ المنهج العلميَّ في عدة أشياء عظيمة[83]، ولا يتوقَّفُ عن استعماله إلاَّ في الوقت الَّذي لا يعرفُ كيفية تطبيقه. **4**- إنَّ تجربةَ المنهج لم تقدني إلى الشَّك فيها، وإنما على النقيض من ذلك[84]، لقدْ حقَّق التَّحقيق العلميُّ أروع الانتصارات في طريق استقرار الرَّأي. وهذا يقدِّم تفسيرًا لعدم شكي في المنهج أو الفرضية الَّتي يفترضُها؛ ولأنَّني لا أشكُ في ذلك، ولا أومنُ بأنَّ أيَّ شخص آخر أستطيع التأثير فيه، فسيكون من مجرد **[121]** الثرثرة بالنِّسبة إلي أنْ أقول المزيد عن هذا الموضوع. وإذا كانَ هناك أيُّ شخص لديه شكٌ قويٌّ حول الموضوع، فليعتبره.

[29] إنَّ وصف منهج التَّحقيق العلميِّ هو غرضُ هذه السِّلسلة من المقالات. وليس لديَّ في الوقت الحاضر سوى متسع من الوقتِ لإدراك بعض نقاط التَّناقض بينه وبينَ المناهج الأخرى في ترسيخ الإيمان.

[30] هذا هو المنهجُ الوحيدُ من بين المناهج الأربعة الَّذي يقدِّم كلَّ تمييز بين الطَّريق الصَّحيح والطَّريق الخطأ. فإذا تبنيتُ منهج الإصرار، وأبعدتُ نفسي عن كلِّ التأثيرات، فإنَّ كلَّ ما أراه ضروريًا للقيام بذلك، فهو ضروري بالنِّسبة إلى هذا المنهج. وهكذا بالنِّسبة إلى منهج السُّلطة: قد تحاول الدَّولةُ القضاء على الهرطقة بوسائل تبدو، من وجهة نظر علمية، غير مُعدة على الإطلاق لإتمام أهدافها؛ لكن **الاختبار الوحيد لهذا المنهج** هو ما تعتقده الدَّولة حتَّى لا يمكنُها اتباع المنهج على نحو خاطئ. وكذلك الأمر مع **المنهج القبلي**، فماهيتُه الحقيقة هي التَّفكير كما يميلُ المرءُ إلى التفكير. من المُؤكد أنَّ جميع الميتافيزيقيين سيفعلون ذلك، على الرَّغم من أنَّهم قد يميلون إلى الحُكم على بعضهم بعض بأنَّهم مخطئون على نحو ضالٍ. يُقر النَّسق الهيجلي بأنَّ كلَّ ميولٍ طبيعيٍّ للفكر منطقيٌّ، على الرَّغم من أنَّه من المُؤكد أنه سيتم إبطاله بمُيولات مُضادة. يظنُ **هيجل** أنَّ هناك نسقا مُنتظمًا في تتالي هذه المُيولات، ونتيجة لذلك، بعد الانحرافِ في اتجاه أو آخر لفترة طويلة، فإنَّ الرَّأي سيتجُه في النِّهاية إلى الاتجاه الصَّحيح. وعليه، فحقا أنَّ الميتافيزيقيين سيحصلون على الأفكار الصحيحة في النَّهاية؛ إنَّ نسق **هيجل** للطَّبيعة يمثِّل العلم في ذلك العصر إلى حد؛ [85] ويمكنُ للمرءِ أنْ يكونَ متأكدًا من أنَّ أيَّ تحقيق علميٍّ يجبُ عليه أن يُزيل الشَّك سيحظى حاليًا ببُرهان قبلي من جانبِ الميتافيزيقيين. لكنْ مع المنهج العلميِّ الأمرُ مختلفٌ. يمكنْ أنْ أنطلقَ من الوقائع المعلومة والمُلاحظة لأصِلَ إلى الوقائع المَجهولة؛ ومع

82- في المخطوط 334، غيَّر **پورس** عبارة «الوقائع «**realities**»، أو» بعبارة «الوقائع «**Reals**»، لأجل».

83- في المخطوط 334، غيَّر **پورس** فعل «يستعمل» المضارع بفعل «استعمل» الماضي.

84- في المخطوط 334، غيَّر **پورس** الضمير الذي يعود على الجماعة «تقدنا» بالضمير الذي يعود على المفرد «تقدنا».

85- في المخطوط 334، غيَّر **پورس** اسم الإشارة «في ذلك العصر» بضمير الملكية الَّذي يعود على الغائب «في عصره».

ذلك، فإنَّ القواعدَ الَّتي أتبعُها في القيام بذلك قد لا تكونُ على النَّحو الذي سيوافقُ عليه البحثُ الاستكشافي. إنَّ اختبار ما إذا كنتُ أتبعُ المنهج حقًا ليس استدعاءً مباشراً لمشاعري وأهدافي، بلْ على العكس من ذلك، يتضمنُ في حدِ ذاته تطبيقَ المنهج. ومن ثم فإنَّ التعقل السَّيئ مُمكن، كما أنَّ التعقل الجيِّد مُمكن؛ وهذه الحقيقةُ هي أساسُ الجانبِ العمليِّ للمنطقِ.

[31] لا ينبغي الافتراضُ أنَّ المناهجَ الثلاثة الأولى لاستقرار الرَّأي لا تقدِّم أيَّ ميزة على المنهج العلميِّ إطلاقا.[86] فعلى العكس من ذلك، كلُّ واحدٍ منها له بعضَ الإفادةِ الخاصة به. يتميَّز المنهجُ القبليُّ باستنتاجاته المُريحة. إنَّها طبيعة العملية الَّتي تجعلنا نتبنَّى أيَّ إيمانٍ نميلُ إليه، وأنَّ هناك إطراءات محدَّدة لغُرورِ الإنسانِ الَّذي نؤمنُ به جميعًا بالطَّبع، حتَّى نستيقظَ من حُلمنا الممتعِ بوقائعَ تقريبية. إنَّ منهج السُّلطة سيحكم دائمًا جميعَ البشرية؛ وأولئك الَّذين يستعملونَ الأشكال المُختلفةَ للقوةِ المُنظَّمة في الدَّولة سوف لنْ يقتنعوا أبدًا بأنَّه لا ينبغي قمعُ التَّفكيرِ الخطيرِ بطريقة ما. إذا فكتْ حُرية التَّعبير **[122]** من أشكالِ القيودِ الأكثر فظاظة، فإنَّه سيتمُ ضمانُ توحيدِ الرَّأي من خلال الإرهابِ الأخلاقي الَّذي سيحظى باحترامِ المجتمع كلِّه. إنَّ اتباع منهج السَّلطة هو طريق السَّلام. فهناك اختلافاتٌ محدَّدة يسمحُ بها؛ وأخرى (تعتبرَ غير آمنة) تكونُ محظورةً. وهذه تختلفُ باختلافِ البُلدان وباختلافِ الأزمان؛ ولكنْ، فحيثما كنتَ، فليكن معلومًا أنكَ تتمسكُ بشدةٍ بإيمانٍ محظورٍ، وقد تكونُ متأكدًا على وجه التَّمام من أنك ستعاملُ بقسوةٍ أقل وحشيةٍ، ولكنْ أكثر رقة من اصطيادِك كذئب. وهكذا، فإنَّ أعظمَ ذوي النِّيات الحسنة والعقلاء من البشر لمْ يجرؤوا من قبلُ، ولنْ يجرؤوا الآن، على الجهرِ بفكرِهم بأكمله؛ ولذلك يُلقي الشَّكُ بظلاله **بداهة** على كلِّ قضيةٍ تعتبرُ ضروريةً لأمنِ المجتمع. ومن الغريبِ بما فيه الكفاية أنَّ الاضطهادَ لا يأتي برُمته من الخارج؛ وإنَّما يعذبُ الإنسان نفسه، وفي كثيرٍ من الأحيانِ يشعر بالأسى الشَّديد لمَّا يجد نفسه مُؤمنًا بالقضايا الَّتي نشأ على النَّظر إليها بكراهية. لذلك، فإنَّ الإنسانَ المسالم والمتعاطف سيجد صعوبةً في مقاومة إغراءِ تسليم آرائه إلى السَّلطة. لكنَّ الأهم من ذلك كلَّه، فأنا معجبٌ بمنهجِ الإصرار لقوته وبساطته وصراحته. إنَّ النَّاس الَّذين يتبعونَه يتميَّزون بقرارهم الشَّخصي، الَّذي يُصبح سهلًا للغاية مع مثل هذه القاعدةِ العقلية. إنَّهم لا يضيِّعون الوقتَ في محاولة اتخاذ قراراتٍ بشأن ما يريدون، ولكنَّهم، متمسكون بسرعة البرق بأيِّ بديلٍ يأتي أولاً، ويتشبثون به حتَّى النِّهاية، مهما حدث، ودون تردُّد ولا للحظة واحدة. وهذه إحدى الصِّفات الرَّائعة الَّتي تصاحبُ النَّجاح الباهر والدَّائم على نحو عام. فمن المُستحيل ألاَّ نحسد الإنسان الَّذي يمكنُه نبذَ الجِدال، على الرَّغم من أنَّنا نعرفُ كيف يجبُ أنْ ينتهي الأمر به في النِّهاية.

[32] هذه هي المزايا الَّتي تتميَّز بها المناهجُ الأخرى لاستقرار الرَّأي عن التَّحقيق العلمي. وينبغي للإنسان أنْ يُحسن الظَّن بها؛ ومن ثم عليه أنْ يعتبر أنَّه، في نهاية المطافِ، يرغبُ في أنْ تتطابقَ آراؤُه مع الواقعة، وأنَّه

86- في المخطوط 407، أعاد **بورس** صياغة الجملة كالآتي: «لا يعني ذلك أن المناهج الثلاثة لاستقرار الآراء هي في كل الأحوال في وضع غير موات بالمقارنة مع التجربة».

لا يوجد سبب يفسِّر لم يجبُ أنْ تكونَ نتائج تلك المناهج الثلاثة الأولى تتطابقَ مع الواقعة. إنَّ إحداث هذا التأثير من اختصاص المنهج العلمي. وبناءً على هذه الاعتبارات، على المرء أنْ يحسمَ اختياره - وهو اختيار يتجاوزُ بكثير مجرد تبني أيَّ رأي عقلي، وهو أحدُ القرارات الحاسمة في حياته، والَّتي بمجرد اتخاذها، فلا بدَّ له من الالتزام بها. إنَّ قوةَ العادة قد تدفعُ الإنسان أحياناً إلى التَّمسك بإيمانٍ قديم، بعد أنْ يكون في وضع يرى أنَّه لا أساسَ له من الصِّحة. لكنَّ التأمل في مكانة الحال سوف يجعلُه يتغلبُ علَى هذه العادات، ويجبُ عليه أن يسمحَ للتَّأمل أنَّ ينزلَ بثقله الكامل. أحياناً يعرضُ النَّاس عن القيام بذلك، منطلقينَ من فكرةٍ مفادُها أنَّ الإيمانَ مفيدٌ ولا يمكنُهم إلاَّ أنْ يشعروا بالرَّاحة على لا شيء. ولكنْ دعْ هؤلاء الأشخاص يفترضون حالاً مُشابهة، وإن كانتْ مُختلفة عن حالهم. فليسألوا أنفسهم ماذا سيقولون للمُسلم المُصلح الَّذي يتماطلُ في التَّخلي عن مفاهيمِه القديمةِ فيما يتعلقُ بالعلاقات بين الجنسين؛ أو إلى **[123]** كاثوليكي مُصلح لا يزالُ يتعيَّن عليه أنْ يعرضَ عن قراءة الكتاب المُقدَّس. ألا يقولون إنَّ هؤلاء الأشخاص يجبُ أن يدرسوا الأمر على نحو تام، ويفهموا بوضوح العقيدة الجديدة، ومن ثم يجبُ عليهم أنْ يعتنقوها، في مُجملها؟ ولكنْ، قبل كلِّ شيءٍ، لنأخذ في الاعتبار أنَّ ما هو أكثر فائدة منْ أيِّ إيمانٍ محدَّد هو نزاهة الإيمانِ، وأنَّ تجنُب النَّظر في دعمِ أي إيمانٍ خوفاً من أنْ يُصبح فاسدًا هو أمر غير أخلاقيٍّ تمامًا بقدرِ ما هو غيرُ ملائم. إنَّ الشَّخص الَّذي يعترفُ بوجود شيءٍ اسمُه الحقيقة، والَّتي تتميَّز ببساطة عن الباطلِ، وأنه إذا عملَ بها، فإنَّه ينبغي، مع كاملِ الاعتبار، أن يُوصلنا إلى النُّقطة الَّتي نصبوا إليها ولا نضَل، على الرّغم من اقتناعِه بها، ومنْ لا يجرؤُ على معرفةِ الحقيقةِ، ويسعى إلى تجنُبها، فهو بالفعلِ في حالٍ ذهنيةٍ يُؤسف لها.

[33] أجل، إنَّ للمناهج الأخرى مزاياها: إنَّ الضَّميرَ المنطقيَّ المرتاح يكلِّفنا شيئًا ما، مثلَما تكلِّفنا أيُّ فضيلة على وجه التَّمام، ومثلما يكلِّفنا غالياً كلُّ ما نعتزُ به، ولكنْ لا ينبغي أنْ نرغبَ في أنْ يكونَ الأمرُ بخلافِ ذلك. إنَّ عبقرية المنهج المنطقيِّ عند الإنسان يجبُ أنْ تكونَ محبوبةً ومبَّجلةً مثل عروسِه الَّتي اختارَها من بين كلِّ النِّساء. إذ لاَ يجبُ عليه أنْ يحتقرَ النِّساء الأخريات؛ فعلى العكسِ من ذلك، قدْ يُكرِّمُهُنَّ بشدةٍ، وبذلك يُكرِّمُها أكثر. لكنَّه هو الَّذي اختارَها، وهو يعلمُ أنَّه كانَ على حقٍ في اتخاذِ هذا الاختيار. وبعد أنْ يفعل ذلكَ، سيعملُ ويقاتلُ من أجلِها، ولنْ يشكوَ من أنَّ هناك ضرباتٍ يجب تلقيها، على أملِ أنْ تكونَ الضَّرباتُ كثيرةً ويصعبُ صدُّها، وسيسعى جاهداً ليكونَ الفارسَ والبطلَ المستحق لها، والَّذي يستمدُ إلهامَه وشجاعتَه من لهيبِ بهائِها.

مصادر النص:

- المصدر الأساس:

- **Peirce, C. S., "The Fixation of Belief", in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, edited by Nathan Houser & Christian Kloesel, Vol. 1 (1867-1893), Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis, 1992, pp.109-12**

- مصدران ثانويان:

- Peirce, C. S., "The Fixation of Belief", *Popular Science Monthly* 12, November 1877, p. 1-15

- Peirce, C. S., "Comment se fixe la croyance", *Revue Philosophique de la France et de l'étranger*, Troisième année, Tome VI, décembre 1878, pp. 553569-

ملحق:

تلخيصُ مقالةِ بُورس «ترسيخ الإيمان»

تأليف: إيفري آرتشر[87]

- **تقديم:** يرى **بورس** أنَّ الهدفَ من البحثِ هو ترسيخ الإيمان، وأنَّ المنهجَ العلميَّ هو الطَّريقةُ الأنجعُ للقيامِ بذلك.

- **المنطلق الأول:** يبدأ **بورس** بعرض تاريخي للمناهج المختلفة لفن التعقل. (ص.109-111).

الشاهد: اعتبر الرُّومان وعلماءُ القرون الوسطى أنَّ كلَّ معرفةٍ تعتمدُ، إمَّا على النَّص أو على العقل. غير أنَّهم يُسندون العقلَ في الأخير إلى النَّص. لقد رأى **روجر بيكون** في القرنِ الثالث عشر أنَّ المعرفةَ مُستمَّدةٌ من التَّجربة الذَّاتية، في حين دافعَ **فرنسيس بيكون** في كتاب «الأورغاتون الجديد» على أنَّ التَّجربة يجبُ أنْ تُفهم على أنَّها شيءٌ منفتحٌ على التَّحقق. لقد بدأ الكيميائي **لافوازيه** بالتَّحول بعيدا عن القول المأثور: «اقرأ، واقرأ، وقرأ، واعمل، وصل، وأعد القراءة» إلى منهج يُركِّز على التَّعامل مع المواد بدلاً من التَّلاعُب بالألفاظ، وأخيرا استعملَ **داروين** المنهجَ الإحصائيَّ، المستعملِ في تَّفسير حركاتِ الجُزئياتِ من أجلِ تفسيرِ التَّنوعِ البيولوجي.

الخلاصة: لقد اختلفَ مفهومُ التَّعقلِ الصَّحيح مع مرورِ الزَّمن.

- **المنطلق الثاني:** يرى **بورس** أنَّ قيمةَ تعلُّم المبادئ الإرشادية للاستدلالِ تتجلى في كونها تسمحُ باستنتاجِ نتائجَ صادقةٍ من مقدماتٍ صادقةٍ. (111-113).

87- **Avery Archer**، أستاذ جامعي مساعد للفلسفة بجامعة جورج واشنطن، حاصل على الدُّكتوراه من جامعة كولومبيا، له اهتمام بالمنطق، وبالإبستمولوجيا، وبفلسفة العقل، وبعلم النَّفس الأخلاقي.

الشاهد: لدينا نزوعٌ نحو تكوين إيمانٍ يتجاوزُ ما يبرِّرهُ المنطقُ، وهذا صحيحٌ بشكلٍ خاص في المجالاتِ الَّتي يكونُ فيها الإيمانُ مقيداً بالتَّجربةِ. لذلك، فإنَّ ما يشكِّلُ نمطاً صحيحا من الاستدلال قد يفشلُ في التَّوافق مع ما يبدو لنا أنَّه النَّمط الأكثر طبيعية للاستدلال. وهذا يوفرُ بعضَ الدَّوافع لتعلُّم الاستدلالِ الصَّحيح.

الخلاصة: إن أنماط الاستدلال التي تضمن التوصل إلى نتائج صادقة انطلاقا من مقدمات صادقة، تعتبر صحيحة بغض النظر عن مشاعر أو دوافع أولئك الذين يعتمدون عليها.

- **المنطلق الثالث:** يعرضُ **پورس** قيوداً للمبادئ الإرشادية الَّتي يمكنُ اعتبارُها محدِّدات للصدقِ. (113).

الشاهد: قد نميِّزُ بين المبادئ الإرشادية الَّتي تُعتبر بالضرورة أمراً مفروغاً منه عند التَّساؤل عمَّا إذا كانتْ نتيجةٌ محدَّدةٌ مترتبةً عن مقدماتٍ محدَّدة، وتلك المبادئ الإرشادية الَّتي لا تتضمنُ هذا التساؤل. فيما يتعلقُ بالأولى، ليسَ منَ المنطقيِّ البحثُ عن صدقها؛ لأنَّ مثلَ هذا البحث يتطلبُ بالفعل افتراضَ صدقِ هذه المبادئ. هذا بالإضافة إلى أنَّه طالما نلتزمُ بهذه المبادئ، فإنَّه سوف نصلُ دائماً إلى نتائجَ صادقةٍ من مقدماتٍ صادقةٍ.

الخلاصة: إنَّ المبادئ الإرشادية الَّتي تحدِّدُ الاستدلالَ الصَّحيحَ هي تلك الَّتي يفترضُها تصوُّرُ الاستدلالِ ذاتِه.

- **المنطلق الرابع:** يُحدِّدُ **پورس** ثلاثَ نقاطِ تناقضٍ بينَ الإيمان والشَّك في علاقتِهما بالبحثِ. (114).

الشاهد: يختلفُ الإيمانُ عن الشَّك: **أولا**، من حيثُ الإحساسُ بكلِّ واحدٍ منهُما. **ثانيا**، الإيمان يُوجِّهُ رغباتنا وأفعالنا، بينَما يدفعُنا الشَّك فقط إلى اتخاذ خطواتٍ نحو حَلِّه. **ثالثا**، الشَّكُ حالٌ من عدَم الاستقرار، وعدَم الرِّضا الَّتي نرغبُ في التَّخلُص منها، منْ أجلِ تغييرِها إلى الإيمانِ الَّذي هو حالٌ هادئةٌ ومُرضية، لا نرغبُ في تغييرِها بإحلالِ إيمانٍ آخر مكانَه.

الخلاصة: يلعبُ كلٌّ الإيمانِ والشَّك دورين في البحثِ، فالأولُّ يُشكِّلُ وجهته، والثَّاني يُشكِّلُ القوة الدَّافعةَ له.

- **المنطلق الخامس:** يرى **پورس** أن الشك هو القوة الدافعة وراء البحث، وأن استقرار الرأي هو غاية البحث. (115-114).

الشاهد: إنَّ الانزعاجَ الناتجَ عن الشَّك يدفعُنا إلى البحث، وينتهي البحثُ بمجرد وصولنا إلى رأيٍّ ثابتٍ، سواء كانَ هذا الرَّأيُّ صحيحاً أو غير صحيح. إنَّ الحقيقةَ لا يُمكنُ أن تحفِّزَنا، لأنَّه سواء كان الرَّأيُّ صحيحاً أم غير صحيح، فهو لا يقعُ خارجَ العقل، وبالتَّالي، فلا يُمكن أن يؤثر فيها.

الخلاصة: وهذا يدْحض، على الأقل، ثلاثةَ تصوراتٍ للإثبات: **أولا**، الفرضيةُ الَّتي تقولُ بأنَّ البحثَ يبدأ بطرح سؤالٍ يُرضي المرءَ. **ثانيا**، الفرضيةُ الَّتي تقولُ بأنَّ البحث يقتضي البحثَ عنِ اليقينِ، حتَّى فيما يتعلقُ بالأمورِ المشكوكِ في وُجودِها واقعيا. **ثالثا**، الفرضيةُ الَّتي تقولُ بأنَّنا قد نستمرُ في البحثِ عن شيءٍ يكونُ الجميعُ مقتنعينَ بوجودِه بالفعلِ.

- **المنطلق السادس:** يعتبرُ **پورس** فعالية «منهج الإصرار» كوسيلةٍ لترسيخِ الإيمان. (115-117).

الشاهد: في كثير من الأحيانِ، تدفعُنا الكراهيةُ الغريزيةُ للحالة المُتردِّدة إلى التَّشبث بالآراء الَّتي لدينا بالفعل. فقد يتبنى الأشخاصُ أيضا إيماناً يجدونَه مقبولاً، ويحاولون حمايةَ أنفُسهم من الاعتباراتِ الَّتي تدفعهم إلى تغيير

آرائهم، وهذه أمثلةٌ على منهج الإصرار. ومع ذلك، فإنَّ هذا المنهج في ترسيخ الإيمان غالبا ما يكونُ غير ناجحٍ، لأنَّ الأشخاصَ الذين يواجهون آراءَ الآخرين المنافسة لها، غالبا ما يندفعون إلى مُراجعةِ آرائِهم.

الخلاصة: غالبا ما يثبتُ منهجُ الإصرار عدمَ فعاليته في ترسيخ الإيمان.

- **المنطلق السابع:** يعتبر **پورس** فعالية «منهج السلطة» كوسيلة لترسيخ الإيمان. (117-118).

الشَّاهد: يمثِّلُ منهجُ السُّلطة تحولاً من التَّركيز على الفرد، كما هو الحال في منهج الإصرار، إلى التَّركيز على مُجتمع محدَّد، وأنَّه ينطوي على فرض أَو تنظيم إيمان النَّاس من قِبل المؤسسات الاجتماعية. وقد ثبتَ أنَّه أكثرُ فعاليةً في ترسيخِ الإيمانِ بالمُقارنة مع منهج الإصرار. ومع ذلك، لا تستطيعُ المؤسساتُ أنْ تتحكَّمَ في الآراء حولَ كلِّ موضوعٍ. هذا بالإضافة إلى أنَّه لمَّا يدركُ الأشخاصُ أنَّ أفرادَ المُجتمعاتِ الأخرى يؤمنونَ بما يُخالف إيمانَهم، فإنَّهم غالباً ما ينْدَفعون إلى التَّشكيك في إيمانِهم.

الخلاصة: إنَّ منهجَ السُّلطة غير فعالٍ كوسيلةٍ عامةٍ في ترسيخِ الإيمانِ.

- **المنطلق الثامن:** يعتبرُ **پورس** فعالية «المنهج القبلي» كوسيلة لترسيخ الإيمان. (118-120).

الشاهد: على الرّغم من أنَّ المنهجَ القبليَّ متفوِّقٌ على المنهجيْن السَّابقين، من حيثُ الجانبُ العقليُّ، إلاَّ أنَّ الحدس الَّذي يقومُ عليه هذا المنهج، مثله مثل الذَّوق، يميلُ إلى الاختلاف من زمن لآخر، بما يتماشى مع المُوضات الفكرية السَّائدة في ذلك الزَّمن. هذا بالإضافة إلى أنَّه لمَّا نلاحظُ الأشخاصَ من الثَّقافات الأخرى لديهم حدسٌ مختلفٌ تماما، فإنَّ هذا يقودُ الكثيرَ إلى التَّشكيك في الافتراض القائلِ بأنَّ حدسَهم الخاصَ مميَّزٌ أو صحيحٌ بطريقة أو بأخرى، وهذا بدوره يثيرُ الشَّك في نفوسهم في نهاية المطافِ.

الخلاصة: يثبتُ المنهجُ القبليُّ في النِّهاية أنَّه غيرُ مُرضٍ كوسيلةٍ لترسيخِ الإيمانِ.

- **المنطلق التاسع:** يتناولُ **پورس** المنهجَ العلميَّ، ويقول أنَّه الأكثر تفضيلاً بالمُقارنة مع المناهج الأخرى من أجلِ ترسيخِ الإيمانِ. (120-121).

الشاهد: إنَّ المنهجَ العلمي قادرٌ على إزالة شكوكنا، لأنَّه يؤسسُ الإيمانَ على عواملَ خارجية، ولا يؤسِّسهُ على عواملَ بشرية، وهذا يُحرِّرنا من تقلبات الطَّبيعةِ البشرية. إضافة إلى ذلك، فإنَّ الإيمانَ واسع النِّطاق بالمنهج العلمي، وسِجِله الطَّويل في النَّجاح، يعزِّزان الثقةَ، ممَّا يجعلُه أقلَّ احتمالٍ في إثارة الشَّكِ عند تطبيقِه على نحو متسقٍ.

الخلاصة: المنهجُ العلميُّ هو أنجعُ المناهج المُعتبرة في ترسيخِ الإيمانِ.

- **المنطلق العاشر:** يُوضِّح **پورس** ما يعتبرُه التَّناقض الأساس بين المنهجِ العلمي والمناهج الأخرى. (121).

الشاهد: لا توجد طريقة خاطئةٌ لاستعمالِ منهج الإصرار، ومنهج السُّلطة، والمنهج القبلي من وجهة نظر هذه المناهج نفسها. وذلك، لأنَّها تؤيِّد أي إيمان يمتلكُه الشَّخصُ بالفعل حول أفضل طريقةٍ لاستعمالِ ذلك المنهج. ومع ذلك، فإنَّ المنهجَ العلمي الَّذي يتضمنُ معيارا موضوعيا لِما يمكنُ اعتبارُه استدلالاً جيدا، يسمحُ باحتمالِ فشلِ الشَّخصِ في التَّفكير على نحو صحيح.

الخلاصة: إنَّ المنهجَ العلمي هو المنهجُ الوحيد القادرُ على السَّماح بإمكانية الاستدلالِ السَّيء أو الجيِّد.

- **المنطلق الحادي عشر:** يعترفُ **پورس** بأنَّ المنهجَ العلميَّ ليس متفوِّقا على المناهج الأخرى في ترسيخ الإيمان من كلِّ النَّواحي (121-123).

الشاهد: قد يوَلِّد المنهجُ القبلي نتائج مُريحة جدا، وقد تفضِّلُ المؤسسات دائما منهج السُّلطة للقضاء على الإيمان غير المُريح، وقد يسودُ السَّلام والاستقرار الاجتماعي على نحو أفضل، ويتطلب منهج الإصرار شخصيَّةً حازمةً، وتستحق الإعجابَ لبساطتِها وصراحتِها.

الخلاصة: المنهج العلمي ليس متفوِّقا على المناهج الأخرى من كلِّ النَّواحي.

خلاصة عامة: على الرَّغم من أنَّ المنهج العلميَّ ليس متفوِّقا كوسيلةٍ لترسيخِ الإيمانِ من كلِّ النَّواحي على المناهج الثلاثة الأخرى، إلاَّ أنَّه لا يزال يستحقُ تبنِّيه والدِّفاع عنه.

مصدر التلخيص:

الباحث إيفري آرتشر AVERY ARCHER، عن الموقع الإليكتروني:

http//:thespaceofreasons.blogspot.com

مصطلحات واردة في المقالة:

الإنجليزي	العربي	الإنجليزي	العربي
A.	**A.**	*Instrument*	أداة
Accident	عرضى/حادث	*Interrogative form*	صيغة استفهام
Action	فعل	*Interior illumination*	نور داخلي
Active effect	تأثير فعال/أثر فعال	*Invention*	إبداع
Atrocity	فظاعة/وحشية	*Investigation*	تحقيق
Advantage	مزية	*Irrational*	لا عقلي
Affection	تأثير	*Irritation*	إثارة
Alembics	إمبيق/وعاء تقطير	*Irritation of doubt*	إثارة الشك
Alternative	بديل	*Irresolution*	التردد
Analogous	نضير	*Integrity*	استقامة/نزاهة
Analogue	مثيل	**J.**	**J.**
Annihilation	الإبادة	*Judgment*	حكم
Application	تطبيق	**L.**	**L.**
Apprehension	فهم	*Licentious*	فاسق/فاجر
A priori method	منهج قبلي	*Liberty of speech*	حرية التعبير
Argument	حجة	**M.**	**M.**
Aspiration	طموح	*massacre*	فظاعة
Assumption	افتراض	*Maxim*	مثل سائر
Authority	نص/ سلطة	*Mental effort*	مجهود عقلي
B.	**B.**	*Method*	منهج
Babble	الثرثرة	*Method of authority*	منهج السلطة
Belief	إيمان	*Method of fixing belief*	منهج ترسيخ الإيمان
Blank forms	صور فارغة	*Method of inquiry*	منهج البحث
Brass	برونز	*Method of tenacity*	منهج الإصرار
		mind	عقل
		modification	تعديل
		monogamy	زواج أحادي
		N.	**N.**
		Natural selection	انتقاء طبيعي
		Notions	مفاهيم

C.	**C.**	**O.**	**O.**
Caprice		*Observation*	ملاحظة
Casual circumstance	نزوة	*Obstacle*	عائق
Celestial spheres	ظروف عرضية	*Occasion*	فرصة
Coincide with	مدارات سماوية	*Optimism*	تفاؤل
Common-sense	متطابق مع	**P.**	**P.**
Conception	حس مشترك	*Persecution*	اضطهاد
Condition	تصور	*Permanency*	دوام/ ديمومة
Conformation	شرط/وضع	*Pole*	قطب
Confusion	تطابق/ملاءمة	*Polygamy*	تعدد الزوجات
Conclusion	خلط	*Power*	قوة
Conscience	نتيجة منطقية	*Practical matter*	مسألة عملية
Consequence	وعي/ضمير	*Practice*	ممارسة
Controversy	نتيجة	*prerogative*	امتياز
Constitution	جدال	*Premiss*	مقدمة منطقية
Conviction	تكوين	*Process*	عملية
Cruelty	اقتناع	*Proportion*	تناسب
Cucurbits	قسوة	*Proposition*	قضية
D.	أوعية التقطير	*Positive effect*	تأثير/أثر إيجابي
Deduction	**D.**	*Protection*	حماية
Defective	استنباط	*Prima facie*	لأول وهلة/بديهي
Demonstration	معيب	*Punishment*	عقاب
Dissatisfaction	برهان	**Q.**	**Q.**
Desire	استياء/سخط	*Quality*	صفة/كيفية
Disposition	رغبة	*Question*	سؤال، إشكال، مسألة
Disprove	تغير	**R.**	**R.**
Dissimilarity	دحض	*Ratocination*	استنتاج
Distinct	اختلاف	*Real things*	أشياء واقعية
Distinction	متميز	*Reality*	واقع
Doctrine	تميز	*Reason*	سبب/عقل
Doubt	مذهب	*Reasoning*	استدلال/ تعقل
Doubtful	شك	*Reexamination*	إعادة الفحص
Doubtless	مشكوك فيه	*Reflection*	تأمل
E.	لا شك فيه	*Reflex action*	السلوك الانعكاسي
Effect	**E.**	*Result*	نتاج
Egotistical impertinence	تأثير/أثر	*Rotten*	فاسد
Epicycles	الوقاحة الأنانية		
Exemplification	أفلاك التدوير		
Experience	تمثيل/ضرب المثل		
External senses	تجربة		
Extravagant	معان خارجية		
	مسرف/مبالغ فيه		

F.	**F.**	**S.**	**S.**
Fact	واقعة	*Sanguine*	متفائل/مرح
Faculty	ملكة/قدرة	*Scientific investigation*	تحقيق علمي
Fallacious	متهافت	*Scientific method*	منهج علمي
False	كاذب	*Scientific procedure*	إجراء علمي
Falsehood	كذب	*Self-satisfied*	اكتفاء ذاتي
Falsity	كذب	*Sensation*	إحساس
Fancy	وهم	*Sentiment*	شعور
Feeling	شعور	*Stomach-pump*	مضخة المعدة
Figure	شكل	*Settlement of opinion*	استقرار الرأي
Form	صورة	*Settling belief*	استقرار الإيمان
Formula	صيغة	*Social impulse*	دافع اجتماعي
Free-trade	تجارة حرة	*Splendid*	رائع/مشرق
Fruitfulness	الإثمار	*Struggle*	كفاح
G.	**G.**	*Substance*	مادة/عنصر
Good reasoning	استدلال جيد	*Sufficient experience*	تجربة كافية
Guiding principle	مبدأ إرشادي	*System*	نظام/نسق
H.	**H.**	**T.**	**T.**
Habit	عادة	*Tabooed belief*	إيمان محرم
Harmony	تناغم/انسجام	*Tautology*	تحصيل حاصل
Heresy	هرطقة/بدعة في الدين	*Tendency*	نزوع/ميول
Horror	رعب	*Thought*	فكر
Hypothesis	فرضية	*Transubstantiation*	تحويل مادي
I.	**I.**	*Truth*	حقيقة/صدق/صحة
Idle	تافه	**U.**	**U.**
Ill-calculated	غير محسوب	*Uniformity*	انتظام
Immediate	مباشر	*Useful quality*	خاصية مفيدة
Immorality	خلود	**V.**	**V.**
Imperfection	نقص	*Vague concession*	امتياز غامض
Impressing	تأثير/إكراه	*Valid*	صحيح
Improving	تحسين	*Validity*	صحة
Impulse	دافع	*Vanity*	غرور
Inconvenience	عدم ملائمة	*Verification*	تحقق
Induction	استقراء	**W.**	**W.**
Inference	استدلال	*Wonderful triumph*	انتصار مدهش
Influence	تأثير	*Wretched*	شقي
Inquiry	بحث استكشافي		
Inspiration	إلهام		
Institution	مؤسسة		

جدول رقم:2، يعرض أهم المصطلحات الواردة في المقالة

أسماء أعلام واردة في المقالة:

- **روجر بيكون Roger Bacon (1220-1292)**، فيلسوفٌ، وعالمٌ، وراهبٌ بريطاني. تأثر بالأفلاطونية، وطبَّق المنهج التجريبي **لابن الهيتم** في علم البصريات، ويعتبرُ من المُؤسسين الأوائل للمنهج التَّجريبي في حلته الكلاسيكية، والَّذي يقومُ على الخطوات الثلاث الآتية: الخطوة الأولى، الانطلاقُ من مجموعة من الملاحظات الموضوعية. ثانيا، تصحيح التعميمات والبديهيات من خلال هذه الملاحظات. ثالثا، اختبار البديهية الصَّادقة، واكتشاف معرفة جديدة من خلالِها.

- **اللورد فرنسيس بيكون Lord Francis Bacon (1561-1626)**، فيلسوفٌ، ورجلُ دولة بريطاني، يُعتبر المؤسس الفعلي للمذهب التَّجريبي، والواضع الحقيقي للمنهج التَّجريبي الكلاسيكي القائم على الاستدلال الاستقرائي الَّذي ينطلقُ من تتبع الجزئيات (إجراء التجارب على عينات) من أجل الوصول إلى حكم كلي (القوانين العلمية).

- **نيكولاس كوبيرنيكوس Nicolaus Copernicus (1473-1543)**، رياضي، وفلكي، وطبيب، ورجل دين ألماني. يُعد أول من أحدث تغييرا في التَّصور الكوسمولوجي بعد **أرسطو** و**بطلموس**، وذلك من خلال إحلال الشَّمس مركزاً للكون بدلا من الأرض، وسُمِّي ذلك بالثورة (أو الانقلاب) الكوبيرنيكية في تاريخ العلم.

- **تايكو براهي Tycho Brahe (1546-1601)**، عالمُ فلك، ومنجمٌ، وخيميائيٌّ من أصل دنماركي. عُرف في تاريخ العلم بملاحظاته الفلكية الدَّقيقة الَّتي ضبطها من خلال المرصد الفلكي الذي أنشأه سنة 1571، وقد ساهمت هذه الملاحظات في تعزيز نظرية كوبيرنيكوس الثَّورية.

- **يوهانز كيبلر Johannes Kepler (1571-1630)**، رياضيٌّ، وعالمُ فلك ألماني. اشتهر بوضع القوانين الثلاثة الَّتي تُحدِّد طبيعة دوران الكواكب حول الشَّمس، والَّتي حدَّدها في الشَّكل الإهليليجي (البيضوي).

- **غاليليو غاليلي Galileo Galilie (1564-1642)**، فيزيائيٌّ، وعالمُ فلك، ومهندسٌ إيطالي. يُعتبر المؤسس الفعلي للعلم الحديث، وهو واضع أسس المنهج التَّجريبي في الفيزياء الكلاسيكية، الذي اعتبر نموذج العلم حتى أواخر القرن التَّاسع عشر.

- **وليام هارفي William Harvey (1578-1657)**، عالمٌ فيزيائيٌّ إنجليزي، له إسهامات في علم التَّشريح، وعلم وظائف الأعضاء، وهو أول مكتشف لنظام الدَّورة الدَّموية.

- **وليم جيلبرت William Gilbert (1544-1603)**، فيزيائيٌّ إنجليزي، اهتم بالفلسفة الطبيعية، ورفض الفلسفة الأرسطية، ومناهج المدرسيين في التَّعليم.

- **أنطوان لافوزيي Antoine Lavoisier (1743-1794)**، كيميائي، وفيلسوفٌ، ورجل اقتصاد فرنسي. يُعد المؤسس الفعلي للكيمياء الحديثة، فقد صاغ قانون حفظ الطَّاقة، واكتشف الأوكسجين، والأكسدة، وكشف عن المُركب الكيميائي للهواء والماء، وحدَّد الحالات الأربع للمادة: السَّائلة، والصلبة، والغازية، والبلازما. وقد اعتُبرت اكتشافاتُه بمثابة ثورة في علم الكيمياء. وللأسف، فقد تم إعدامُه بعد قيام الثورة الفرنسية بواسطة المقصلة.

- **رودولف يوليوس إيمانويل كلاوسيوس Rudolf Julius Emanuel Clausius (1822-1888)**، عالم فيزيائي، ورياضي ألماني. يُعتبر المؤسس الفعلي للديناميكا الحرارية بمعية العالم الفرنسي **سادي كارنو**، وهو واضع مصطلح الأنتروبيا، أي العشوائية في حركة جزيئات الغاز.

- **جيمس كليرك ماكسويل James Clerk Maxwell (1831-1879)**، عالمٌ فيزيائيٌّ اسكتلندي. يُعتبر أعظم فيزيائي معاصر، وهو أول من وضع وصفا تاما لنظرية الكهرباء، والنَّظرية المغناطيسية، واشتهر بمُعادلاته العلمية الَّتي حملت اسمه في المجالين المذكورين.

- **تشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin (1809-1882)**، عالم طبيعي، وجيولوجي، وعالم إحياء إنجليزي. اشتهر بنظرية التطور في علم الإحياء، والَّتي أثارت سُخط رجال الدين، ولازالت هذه النظرية تحظى باهتمام العلماء، وعلى الخصوص نظرية الانتقاء الطَّبيعي، ونظرية الصِّراع من أجل البقاء.

- **الحسن الصباح الملقب بشيخ الجبل The Old Man of the Mountain (430هـ-518هـ)**، هو الحسن بن علي بن محمد الصباح الحميري. لقب بشيخ الجبل لتحصنه بقلعة الموت بفارس، عرف بكونه مؤسس جماعة الحشاشين (فرقة شيعية إسماعيلية باطنية) الَّتي التزم أعضاؤها بتنفيذ أوامره في اغتيال شخصيات سياسية.

- **نوما پومپيليوس Numa Pompilius (753-673 قبل الميلاد)**، هو الحاكم الثاني من الملوك السَّبعة الذين حكموا روما، كانت فترة حكمه بين 715-673 ميلادية.

- **بيوس نونوس Pius Nonus**، ويسمى بيوس نونوس التاسع، واسمه الحقيقي جيوفاني ماريا ماستاي فيرتي، كان راهبا في الكنيسة الكاثوليكية، وأصبح بابا الكنيسة السَّادس والخمسين بعد المائتين، بدأت فترة قيادته للكنيسة من 1846 إلى وفاته، وقد عمر طويلا في هذا المنصب، ولم يفُقْه فيه سوى **القديس بطرس**، الَّذي دامت فترة قيادته اثنتين وثلاثين سنة.

- **أفلاطون Plato (423-348)**، فيلسوف يوناني من مدرسة أثينا، تلميذ **سقراط**، وأستاذ **أرسطو**، مؤسس الأكاديمية. اشتهر بالمُحاورات الَّتي اعتُبرت من الرَّوائع الفلسفية القديمة، وأول وأكبر متن فلسفي مدوَّن. تُعتبر نظرية المُثل محور نسقه الفلسفي.

- **جورج فيلهيلم فريدريتش هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (1770-1831)**، فيلسوف ألماني، كان له تأثير كبير في الفلسفة المعاصرة عامة، وفي الفلسفة الألمانية على وجه الخصوص. توزَّعت اهتماماته الفلسفية لتطال: الميتافيزيقا، ونظرية المعرفة، والأنطولوجيا، والفلسفة السِّياسية، وفلسفة التَّاريخ، وفلسفة الفن، وفلسفة الدِّين، وتاريخ الفلسفة...

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com